الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان-

معهد الثقافة الشعبية

قسم الأدب الشعبي

رسـالة مقدمة لنيـل شهـادة المـاجستيـر

تـحت عنـوان

قصة النبي إسماعيل -عليه السلام-
بين الثابت القرآني والمتحول الشعبي

- دراسة مقارنة-

إعـداد الطالبـة
فتيحة بلحاجي

تحت إشـراف
د. محمد سعيدي

السنة الجامعية: (1423-1424هـ)/(2003-2004م)

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر، وكل الشكر إلى أستاذي المشرف، الدكتور محمد سعيدي الذي كان لي نعم المرشد في بحثي هذا،

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذة المناقشين على تحملهم عناء قراءة هذه الرسالة ومناقشتها،

و لا يفوتني أن اشكر كل من ساعدني سواء من قريب أو بعيد وأخص بالذكر زوجي الكريم والأستاذ هشام خالدي وكل من وجهني وساعدني ولو بفكرة.

الطالبة :✍فتيحة بلحاجي

إ هـد ا ء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

والدي العزيزين.

زوجي الكريم.

إبني العربي.

وكل من ساعدني في إنجازه.

✍ فتيحة بلحاجي

قال الله تعالى:

[فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّيَّ
أَرَى فِي الْمنَامِ أَنِّي أَذْبحُكَ فانْظُرْ مَاذَا
تَرى قَالَ يَا أَبَتِي افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ
سَتَجِدُنِيَ إنْ شَاء الله مِنَ الصَّابِرِينَ]

[سورة الصافات: الآية 102]

أتاه مـــلاك فــــــي المنـــــام % قالـــوا ابنـــــك ضحيـــه
سبقـــــت عليــــــــه الســـلام % وطـــار النــــــوم عليـــــه
ثـــلـــث ليــــــالي بالـــكمـــال % وهـــو يـــوقـــف عليــــه
ضــــحـــي ابـــنـــك الغــــزال % الله اطـــلــــب عـــليـــــه

<u>عبد الكريم دالي</u>

المقدمة:

إن القصص القرآني من الموضوعات التي اتجه إليها ذهني منذ الوهلة الأولى في إطار البحث، والسبب في ذلك أن القصص يعد من أهم العوامل النفسية التي تثبت القلب وتطهره من الشوائب، كما أن مجال الوحدة القصصية في القرآن يدور حول الشخصيات الإسلامية، وأقصد الرسل والأنبياء عليهم السلام، كما تقوم قبل كل شيء على الموضوعات الدينية والأغراض القصصية الاجتماعية والخلقية، وهذا هو العنصر الذي يترابط ارتباطا وثيقا بالقصص الشعبي، والذي يشكل كلا متجانسا من القيم والأخلاق والعبر.

فالقرآن الكريم بقصصه وعبره يرفع ذكر الأنبياء ويطهر ساحاتكم ويطلعنا عن أخبار الأمم الخوالي لأنه الذكر الحكيم الذي لا يأتيه باطل، والذي يمتاز بسمو غاياته وعلو مراميه وشريف مقاصده، الأمر الذي يهذب الأخلاق ويجمل الطباع ويهدي إلى الطريق القويم.

ونحن من خلال بحثنا هذا نود التعرض لقصة من قصص القرآن التي تستحوذ على العقول وتنفتح لها الآذان والقلوب ، فهي تهدي التائه الحيران وتنبئ بما حدث للسابقين من الأنام، فهو العبرة لأولي الأبصار مصداقا لقوله تعالى: **[لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأولِي الألْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ولَكِن تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وتَفْصِيلَ كلّ شَيْءٍ وهُدًى ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُومِنُونَ]**[1].

والقصة المنتقاة لبحثنا هي قصة إسماعيل عليه السلام وإشكالية الذبيح، ونتعرض من خلالها إلى ذكر مولده ثم مهاجرته مع أبيه إبراهيم عليهما السلام إلى أرض مكة وبناء البيت العتيق وصولا إلى حادثة الذبح وامتحان المولى عز وجل لهما ومدى طاعة وصبر كلا من الخليل وابنه على الابتلاء وأيضا مدى خضوعهما لأمر الله.

ليس غرضنا الحديث عن القصة عامة حديثا مستفيضا ولكن القصد من بحثنا هذا هو مقارنة القصة القرآنية بالقصة الشعبية المجسدة في قصيدة شعرية، لكن هل القصة الشعبية هي نفسها القصة القرآنية؟ وهل ذكرت كل الأحداث والحقائق التاريخية في النص الشعبي كما ذكرت في النص القرآني؟.

---

[1] سورة يوسف، الآية 111.

فانطلاقا من هذه الإشكالية نستخرج المقومات الأساسية والرئيسية للقصتين معا ثم نتعرض للأحداث التي تخللت كل قصة على حدى وإبراز الجوانب الأساسية والقاعدية التي قامت عليها الأحداث في كلا من القصتين، وبالتالي استخراج الحقائق وتوضيح ما تحتوي عليه من أفكار وما قيل عنها من آراء، فمن خلال مقارنة القصتين القرآنية والشعبية نبرز الجوانب الدينية والاجتماعية للقصة إبرازا ملموسا، وذلك بالوقوف على الأحداث والشخصيات المكونة لذلك التصوير الفني الرائع ومن حيث هي إحدى العوامل التي لها بصمات راسخة في التاريخ ولا تزال مجسدة في أماكن عدة كمكة والمدينة.

ومن الفرضيات التي تنطلق منها:

أولا: قيام كلا من القصتين على الأحداث نفسها بحيث يتم وصف الأحداث وصفا متسلسلا دون زيادة أو نقصان، فإذا افترضنا هذا الافتراض فحتما ستكون القصة نفسها ولا مجال للمقارنة لأنها تشتمل على التشابه فقط دون الاختلاف، ونحن هاهنا نلغي دور التراث الشعبي ونتجاهل بصمته الخاصة وطابعه الأسطوري الخارق، إن صح التعبير – وعليه فالقصة الشعبية متحولة نظرا لما يشوبها من زوائد وما تفتقر إليه من نقصان.

ثانيا: إن القصص الديني شبيه نوعا ما بالقصص الشعبي وذلك في اشتمالهما على الكثير من الأحداث والوقائع وذكر الديار والزمان، والتعبير عن التجارب الماضية، والسير الخالدة، كما أن لها بعض فواصل الاختلاف كالغرض من كل قصة، فالقصة القرآنية مثلا نجد أن الهدف منها العبرة والموعظة والإرشاد والهداية وتربية النفس وتعميق العقيدة، فهي ترتكز على الدين دون سواه وتجسده بالفعل والعمل، كما تعتمد الأسلوب الموجز البليغ والمؤثر واللغة العربية الفصحى، في حين نجد أن القصة الشعبية تهتم بوصف تجارب الأمم بطريقة مسلية ومرفهة وليست واعظة ولا منذرة، فهي إذن تهدف إلى التسلية والترفيه عن النفس وذلك بمزجها بين الواقع والخيال والمغامرات العجيبة، فهي تميل إلى العجائب والخوارق أكثر من ميلها إلى الحقائق، كما أنها معرضة للتحوير والتغيير، وذلك بسبب تناقلها عبر الرواية الشفوية من شخص لآخر دون المحافظة على النص الأصلي، على عكس النص القرآني الذي هو ثابت ثبات القرآن الكريم، كما أنّ القصة الشعبية تعتمد على العامية أو اللهجة في اللغة وغالبا ما تستخدم بعض الكلمات الفصحى، لكن يظلّ القرآن الكريم هو المادّة الخام التي يستقي منها

القصص الشعبي مادته ومصادره ويعيد تشكيلها حسب الوقائع والأحداث أو بالأحرى حسب المرويات الشفوية والزائد فيها كالناقص لأنه لا يضيف شيئا عن الحقيقة ولا يستطيع الإنقاص منها.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أمّا الفصل الأول فقد خصصناه لدراسة بنية قصة اسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم، وذلك من خلال دراسة المسار الحدثي الذي نتعرض فيه لاستخراج الأحداث وتصنيفها طبقا للتسلسل الحدثي والزمني، ونتعرض لدراسة الشخصيات ثم الحيز الزمني والمكاني ثمّ ننتقل إلى دراسة الثنائية الضدية في القصّة إلى أن نختتم بالتعرض لبنية الزمان والمكان، وبذلك نكون قد تعرضنا لأحداث القصة كاملة ونذكر منها: مولد إسماعيل عليه السلام ثمّ مهاجرته مع أبيه إلى مكّة ثمّ بناء البيت العتيق وصولا إلى واقعة الذبح التي أراد الله من خلالها امتحانهما معا (الخليل إبراهيم وإسماعيل) مع إبراز من هو الذبيح إسماعيل أو إسحاق، ثمّ التطرّق إلى الشخصيات الفاعلة في النص القرآني حسب ظهورها وتسلسل ذكرها وطبيعة شخصيتها كل على حدى ثمّ دراسة الحيّز الزماني والمكاني، انطلاقا من الحيز الجغرافي وصولا إلى الحيّز المكاني، كما سنتطرّق إلى الثنائية الضدية البارزة في القصّة كحضور هاجر في مكّة دون إسماعيل ثمّ حضور إسماعيل عند الذبح وغياب هاجر وغيرها من الثنائيات الضدية، ثمّ تحليل البنية الزمانية لكلّ حدث في القصّة أمّا الفصل الثاني فنخصصه لبنية القصة الشعرية الشعبية للنبي إسماعيل عليه السلام، مقتفين في ذلك المراحل نفسها التي اتبعناها في الفصل الأول، وذلك بإبراز المسار الحدثي ثمّ استخراج الشخصيات ودراستها ثمّ التعرض بالدراسة للحيز والمكان والزمان، والثنائية الضدّية. أمّا الفصل الثالث فقد عالجنا فيه القصتين معا وذلك بمقارنتهما واستخلاص النقاط التي تتفق فيها القصّة القرنية مع الشعبية على مستوى الأحداث ونقصد الزيادة والنقصان وعلى مستوى الشخصيات، ثمّ على مستوى الحيز وأخيرا على مستوى بنية المكان والزمان ثمّ استنباط أوجه الاختلاف بينهما على مستوى بنية القصة ككل ثمّ على مستوى زيادة بعض الأحداث والشخصيات أو نقصانها ثمّ على مستوى الاختلاف الكلي والاختلاف الجزئي.

وقد أنهينا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهمّ النتائج التي خلصنا إليها، أمّا المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي المقارن، وقد تطلب ذلك قراءة مصادر ومراجع متنوعة، حيث اعتمدنا على الكثير نذكر منها: القرآن الكريم، وفي ظلال القرآن للسيّد قطب، وصفوة التفاسير لمحمد الصابوني، وغيرها من المصادر القرآنية، أمّا بالنسبة للمراجع الشعبية فنذكر على سبيل المثال: الأدب الشعبي لرشدي صالح أحمد والقصة الشعبية ذات الأصل العربي لقريشي ليلى روزلين، وأشكال التعبير الشعبي الشعبي لنبيلة إبراهيم، وألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لمرتاض عبد المالك، وغيرها من الكتب والمنابع التي أعانتنا على فهم المنهج وإدراكه وتطبيقه على القصص.

إنّ هذه الدراسة في الحقيقة لا تشكل فتحا مبينا لم يسبقنا إليه سابق، إنّما جاء هذا العمل متواضعا نأمله عونا مرشدا للطالب الباحث في الأدب الشعبي وخاصة في مجال القصص، ونودّ التماس العذر لو كانت هذه الدراسة قد أهملت جانبا من جوانب الدراسة وذلك راجع بالدرجة الأولى لاهتمامنا وتركيزنا على الجانب التطبيقي ألا وهو الجمع ثمّ المقارنة، وجلّ ما نصبوا إليه هو أن يكون عملنا هذا عند حسن ظنّ كلّ من اطّلع عليه ويبقى المولى عزّ وجلّ وحده وليّ التوفيق ونسأله العصمة من زلّة القلب وضلالة العقل ونزعة الهوى.

والله وليّ التوفيق.

<u>الطالبة</u>: فتيحة بلحاجي.

تلمسان في: 28 أبريل 2004.

الفصل الأول: بنية القصة القرآنية.

تمهيد:

تحتل القصة عامة سواء أكانت قرآنية أو شعبية مكانة هامة ترقى بالمتتبع لأحداثها إلى أرقى القمم الثقافية والعلمية فهي زيادة عما فيها من متعة وتشويق وعبر تستطيع غالبا أن تنقلك من حادث إلى آخر أشد غرابة منه تارة وأشد تأثيرا تارة أخرى سابحة بك في بحر الأزمنة والأمكنة في الأرض ومحلقة بك في السماء بتوجيهاتها وعبرها وقيمها لهذا السبب شغف بها كل من اكتشف جوهرها ولبها الأخاذ واجتذاب نحوها عقله ومشاعره.

جاء في كتاب الله العزيز قوله تعالى: [**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ**][1] أي نبيّن لك أحسن البيان وأحسن العبر وعليه فالقصة القرآنية هي الشعلة التي تضيء سبيل هذا الإنسان لتصل حاضره بماضيه والنفحة الربانية التي تُشرق بها النفس والوثيقة الوحيدة الخالصة الصادقة والخالدة التي ترسم له النمط السوي.

يعرفها محمد أحمد خلف الله كما يلي: "وهي الهداية إلى الدين والإرشاد إلى الحق والأمر بطلب النجدة"[2]. فالقصة تسمو بقارئها سمو روحي وخلقي يشعر به وبلذاته ومتعته أثناء تتبع أحداثها واكتشاف مغزاها، كما أن للقصص القرآني مميزات خاصة تكمل في: "رونق الأسلوب وبديع النظم وجمال الصورة مما ترقص له قلوب الأدباء وعدا ما فيها كذلك من المواقف والتحاليل النفسية والاستنتاجات الكامنة وراء الأحداث التي يجد فيها علماء النفس بغيتهم...".[3]

كما أن القصة تحتوي على عناصر أساسية تكمل في الشخصية والزمان والمكان والأحداث، "إذ نجد أن شخصيات القرآن الكريم مرسومة رسما متناسقا فهي شاخصة حية متحركة ذات عواطف وانفعالات كما أن للزمن دورا في القصة القرآنية مثله مثل المكان إذ هو أشبه بالوعاء للأحداث مشاركة تعين على تنمية الحدث"[4].

---

[1] سورة يوسف، الآية 03.

[2] محمد أخلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1972، ص 116.

[3] فضل حسن عباس: القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته، شركة شهاب، الجزائر، 1989، ص 11.

[4] محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 248.

أما أحداث القصة القرآنية فتدور حول "الدعوة إلى الله والتوجيه إلى وجهه الكريم"[1] في حين حن نجد الأهداف والغايات التي يرجى الوصول إليها من خلال القصص القرآني كثيرة ومتعددة: "إن هذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة وغاياته المتعددة، فعلى سبيل الإجمال يهدف القصص القرآني إلى تربية نوع الإنسان تربية تضمن له خير المسالك ليتبوأ أفضل المدن والممالك، وتحول بينه وبين المنزلقات والمهالك".[2]

هذا عن القصة القرآنية أما عن القصة الشعبية فلها هي الأخرى خواصها ومميزاتها التي تلعب دورا هاما في جلب قارئها واجتذابه نحوها لما تحتوي عليه من أساليب مرونق وأحداث متميزة وأهداف سامية وعليه فهي: "ذلك التراث القصصي الذي امتزج فيه تاريخ هذه الأمة بأحلامها وواقعها بخيالها قبل الإسلام وبعده ليتحول كل ذلك إلى واقع إنساني مليء بالوقائع العجيبة والمغامرات الخطيرة"[3] فهي تهتم بالتسجيل الواقعي للأحداث التي يعيشها الشعب يوميا في ظل حياتهم ومسيرتهم العجبية ومدى اهتمامه بمتعلقات الحياة وصوغها في قالب شعبي وبلهجة عامية.

أما روزلين ليلى قريش فتعرف القصة الشعبية كما يلي:

"تعد من أقدم الآثار الأدبية التي حفظتها الوثائق المكتوبة أو ذاكرة الإنسان ومن أهم الأدوار التي لعبتها والدوافع التي أنشأتها نقل الحوادث والتعويض عن الواقع ونقد المجتمع والتعليم والتعبير عن أنواع الظلم الاجتماعي والاضطهاد التي تعرضت له الشعوب على مر الأيام، كما أنها وسيلة للتسلية والتخفيف من عدة الآلام والضغوط التي عانت منها الطبقة الشعبية الكادحة".[4]

فالقصة الشعبية تلعب دورا هاما في حياة الفرد، حيث تساعده على صقل مواهبه وتمكنه من اكتساب الحرية قصد التعبير عن وجهات نظره وآرائه المطلقة التي ينسجها ويعبر عنها من خلالها:

---

[1] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، 1988، ص 52.

[2] محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 248.

[3] عثمان حشلاف: التراث والتجديد في شعر السياب، مقوماتها وطاقتها الإبداعية، دار المعارف، الطبعة الأولى والثانية، 1983، ص 983.

[4] روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص7.

"فالقصص الشعبي نوع من أنواع الإبداع الشعبي يصنعه الجمهور ويطوره ويعيد تركيبه ليظل نابضا بالحياة يصلح لكل جيل ولكل مناسبة غير قابلة للفناء بل يتجدد حيا بحياة الشعب وهو جزء من التراث الشعبي يحافظ على تسلسل التاريخ الشعبي ويحفظ استمراره هو ويرسخ ارتباط الإنسان بالأرض والمجتمع"[1].

وهذا أكبر دليل على أهمية القصة الشعبية التي تلملم تاريخ الشعوب وتحافظ عليه لتجسد ثقافتهم وتنميتها كما أنها تمتاز بتداول الأخبار البدائية والأساطير القديمة حيث يجعل منها القاص الشعبي شكلا فنيا ممتعا يصطبغ بصبغة خرافية تميل إلى العجيب.

والقصة الشعبية بطبعها متداولة ومنتشرة في الأوساط الشعبية كالمقاهي والأرياف والسهرات والأعياد والحفلات .... غير أن الاختلاف يتجلى في الرواية والقص، فهناك من يضيف أحداثا وهناك من يحذف أخرى كما أن "المجتمع يلعب دورا هاما في رواج القصة العجيبة وتحويرها فيستمع إلى القصة ويتداولها محتفظا بما لا يلائم ذوق الجماعة ويتجاوب ورغباتها وآمالها ومعتقداتها"[2] .

وعليه فإن القصة الشعبية تختلف من راو إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى وبحسب المناسبة التي تحكى فيها حيث "يروى القصص الشعري ذو الطابع الملحمي عن طريق إنشاده بالعزف والقصص الذي يعتمد على أحداث تاريخية تمجيدا للماضي المنقول شفهيا حسب درجات الحضارة ومراحل التاريخ التي مرت بها الشعوب"[3].

وعلى هذا يمكننا القول أن للقصة القرآنية والقصة الشعبية محطات تلتقي فيها وأخرى تختلف فيها فمن النقط التي تتشابه فيها نجد أنهما معا يعبران عن حياة أمم خلت مخلدتان أسماءهم ووقائع حياتهم المعيشية مع ذكر الزمان والمكان وممجدتان لأبطال هذا القصص وكل منهما تعتبر بمثابة الذاكرة الحافظة لهذا التاريخ والموروث المليء بالأحداث والعبر وأما بالنسبة لمراكز الاختلاف فنجملها فيما يلي:

1- أن القصص الشعبي هو وسيلة للترفيه والتسلية وملء للفراغ يمتزج فيه الواقع بالخيال والحقيقة بالحلم كما تغزوها الخوارق والعجائب ومعرضة للتحوير

---

[1] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي، دار النهضة، مصر – القاهرة، د.ت، ص 97.

[2] فاطمة الزهراء بلحجي: قصة يوسف عليه السلام – بين النص القرآني والنص الشعبي-، رسالة ماجستير، 2000-2001، ص29.

[3] عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 34.

والتغيير والزيادة والنقصان وهذا عند الانتشار والرواية في حين نجد القصص القرآني هو العبرة والموعظة والإنذار قبل كل شيء ويهدف إلى تربية نفس الإنسان وتعميق عقيدته والسمو بروحه وخلقه ونفسه إلى أسمى وأرقى مراكز ومراتب الأخلاق والتدين فهي الطريق إلى التدين الحق والدعوة إلى جيل التوحيد والثبات على دين الله الواحد الأحد.

2- تمتاز القصة القرآنية بلغتها الفصحى الراقية التي تسرد حقائقها وأحداثها بشكل ثابت ومقنع وبذلك الطابع التوجيهي والمؤدي إلى الحق والصواب المستمد من الوقائع والأحداث الحقيقية بخلاف القصة الشعبية التي تستقي ألفاظها وعباراتها من كلام العامة اليومي وتسعى من خلالها إلى إرضاء المتلقي صائغة تلك القصة بالخيال اللامتناهي والذي يزيدها بعدا عن الحقيقة واقترابا من الخرافات والأساطير وفي هذا الصدد يقول سيد قطب أن: "القصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه بخلاف القصص الأخرى الحرة التي ترمي إلى أداء غرض طليق"[1].

3- القصة القرآنية صادرة عن المولى عز وجل ومروية في كتابه العزيز وهي ثابتة ثبات الخالق جل جلاله ومما يثبت ذلك واقعية أحداثها وصدقها والمغزى الدالة عليه، في حين نرى أن القصة الشعبية تصدر عن القاص الشعبي الذي هو فرد من الوسط الشعبي وبلغة عامية يتخللها التغيير والإضافة زيادة على الأحداث المصطنعة والمبالغ فيها أحيانا مما يجعلها تميل ميلا خفيفا إلى الخرافة.

4- القصص القرآني مصدره معروف وموثوق به الذي هو القرآن الكريم، أما القصص الشعبي فمصدره مجهول لأنه متوارث جيلا بعد جيل ولا يعرف قائله وقاصه الأول ولا يستند إلى أحد بل هو متداول بين الجماعات وفي الأوساط الشعبية من فرد لآخر فهذا يحذف وهذا يضيف على غير القصص القرآني المعروف بثبات أحداثه ووقائعه وعليه "فالقصة الشعبية عريقة في ضمائر الناس ... بل ربما كان كل الناس قصاصين بمعنى من المعاني".[2]

---

[1] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ص 17.

[2] عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار العودة – بيروت، 1962 ، ص208.

وعليه نستنتج أن القرآن الكريم هو المصدر الذي استقت منه الذاكرة الشعبية حكاياتها التي تحمل جزئيات غريبة ومدهشة في طياتها عن عالم لا يدركه العقل البشري البسيط، وبالطبع فالاستيفاء من القرآن الكريم لا يعني الاحتفاظ بالحكاية نصا وروحا، بل إن الخيال الشعبي قد تسبب في الحذف والتعديل والإضافة والتغيير. "لقد استندت الحكاية إلى أمور في القرآن الكريم ثم انطلق الخيال الشعبي يخلق ما يشاء ليرضي طموحاته فيبرز صفات يراها".[1]

أولا : المسار الحدثي:

* الأحداث:

إن القصة القرآنية إنما ترمز إلى أسلوب الإقناع وقوة الحجة، التي أعطاها الله تعالى لأنبيائه، ونخص بالذكر في هذا الصدد إسماعيل وإبراهيم الخليل –عليهما السلام– الذين جسدا تاريخ العظمة والإجلال وتميزا بالكفاح والطاعة والنضال والتضحية في سبيل الله، من أجل إعلاء كلمته وتبليغ دعوته ونشر رسالة الحق، إنه حقا لتاريخ مشرف، مليء بالبطولات وألوان الصبر والشجاعة الفذة لأنهما صمدا وراء الحق وصبرا عند الابتلاء والشدائد وتحملا الأذى في سبيل رضا المولى. فقد منحهما لغيرهم من الرسل والأنبياء من العزائم والهمم والقوى ما يعجز عنه الأقوياء من الرجال ولا تتحمله الراسيات من الجبال، لقد كانا حقا مفخرة للأزمان وأهلا لقيادة الأمة والأجيال.

وعليه لقد تناول الأسلوب القرآني قصة النبي إسماعيل –عليه السلام– بسلاسة وإبداع تجسدت من خلاله كلّ الأحداث والمشاهد التي بنت وكونت أجزاء القصة، كما صاغها لنا بطريقة الإثارة والتشويق والإقناع بعيدة كل البعد أو بالأحرى خالية من الخيال والخرافات مما يؤدي بقارئها إلى الاستماع بها ومتابعة أحداثها واحدا تلوى الآخر دون ملل بالعكس فإنه يجعله متلهفا ومشوقا لمعرفة نهايتها وأكثر ما يجلبه إليها هو واقعية أحداثها والهدف المستنبط منها، كما أنها تميزت بالتسلسل الزمن وترابط الأحداث وتموضعها موضعا حسنا وأخاذا، زد إلى ذلك قوة العرض وجمال المواقف المكونّة لها وعليه "فإن القصة القرآنية من شأنها أن تبعث في النفس الشوق للتفصيل،

---

[1] عبد القادر خليفي: القصص الشعبي في منطقة عين الصفراء، رسالة ماجستير، ص 78.

وأن تجعل النفس تتشوق للوقوف مع الجزئيات والأحداث ..."[1] وآن لنا الآن أن ندرج أحداث القصة القرآنية مسلسلة وهي كالآتي:

*** - مولد إسماعيل:**

دعا نبي الله إبراهيم - عليه السلام- ربه أن يرزقه ذرية طيبة، ويهب له من الصالحين ذرية مباركة، فاستجاب الله له ، وبشره بغلام حليم [**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**][2]. والحِلم صفة من صفات إبراهيم -عليه السلام- والابن سر أبيه وخليفته، يقال أنه لما كان عليه السلام في بيت المقدس، وكان قد مكث فيه عشرون سنة "قالت سارة لإبراهيم عليه السلام إن الرب قد أحرمني الولد، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقنا منها ولدا، فلما وهبتها له دخل بها، فحملت منه".[3]

بعد أن تزوج الخليل من هاجر قيل: أنها بدأت ترتفع نفسها وتتعاظم على سيدتها مما جعل الغيرة تدب في نفس سارة - زوجته الأولى- فظلتا هكذا حتى تفاقم الأمر، عندها شكت سارة أمرها إلى زوجها، وما كان رده إلا إعطاؤها الحرية المطلقة في التصرف معها، حيث أجابها قائلا: "افعلي ما شئت"، ولما سمعت هاجر بغضب سارة وعزمها على الانتقام منها جزعت وهربت واستقرت عند عين هناك، وعند ذاك أتاها ملك وقال لها: "لا تخافي فإن الله جاعل من هذا الغلام الذي حملت خيرا"، وأمرها بالرجوع وبشّرها أنها ستلد ولدا وتسميه إسماعيل ويكون وحش الناس، يده على الكل ويد الكل به، ويملك جميع بلاد إخوته، فشكرت الله عز وجل على ذلك".[4]

لما سمعت هاجر ما جاءها به الملك اطمأنت وارتاح قلبها، ثم رجعت إلى بيتها وبعد أيام وضعت إسماعيل - عليه السلام- قيل: ولدته لإبراهيم وعمره ست وثمانون سنة - أي قبل: قبل مولد إسحاق بثلاث عشرة سنة- ولما ولد له إسماعيل فرح نبي الله وابتهج

---

[1] فضل حسن عباس، القصص القرآني، ص 13.

[2] سورة الصافات، الآية101.

[3] ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء -حققه وأخرج أحاديثه لجنة التحقيق والنشر - قدمه عبد القادر أرناؤوط -الطبعة الأولى- 1421 هـ -2001 م -دار الفيحاء للطباعة والنشر -سوريا - دمشق، ص 145.

[4] ابن كثير الدمشقي، قصص الأنبياء، ص 155.

كثيرا فحمد الله وشكره على نعمته التي أنعم بها عليه، فخر لله ساجدا ودليل ذلك قوله تعالى: [**الحَمْدُ للهِ الذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيل**].[1]

إذن استجاب الله لدعاء إبراهيم، فوهب له إسماعيل وبارك عليه فكثَّره ونمّاه، وقد بشره الله بأنه سيولد لإسماعيل اثنا عشر عظيما وسيصبح رئيسا لشعب عظيم وتحققت هذه البشارة حيث أضفت على الأمة الإسلامية عظمة وهبة ووقارا وهؤلاء الاثنا عشر هم الخلفاء الراشدون وكلهم من قريش.

***- هجرة إبراهيم بزوجه وابنه:**

لما ولد لهاجر إسماعيل بدأ الشيطان يوسوس لسارة قصد إثارة حقدها وغلها على ضرتها وابنها، فلما اشتدت غيرتها طلبت من إبراهيم -عليه السلام- أن يبعدهما عنها فاستجاب لها واتجه بهما حيث لا تراهما حتى وصل بهما إلى مكة - بلاد الحجاز آنذاك- وهو المكان الذي بنى فيه إبراهيم عليه السلام أول بيت على الأرض ليذكر فيه اسم الله ولم يزل حينذاك ابنه اسماعيل رضيعا.

سار إبراهيم بأهله حيث أمره ربه، وقد كانت بلاد الحجاز خالية لا يسكنها أحد فاتخذ عليه السلام لأهله مسكنا ثم تركهما هناك وقصد الطريق موليا ومدبرا، فقامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت: يا إبراهيم ... أين تذهب وتدعنا هاهنا؟ ليس معنا ما يكفينا، فلم يجبها ولما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت: آلله أمرك بهذا؟ قال إبراهيم: نعم قالت فإذن لن يضيعنا ثم رجعت"[2].

وقد ذكر الشيخ أبو محمد بن أبي زيد -رحمه الله- في كتاب النوادر أن: "سارة غضبت من هاجر فحلفت لتقطعن ثلاثة من أعضائها، فأمرها الخليل أن تثقب أذنيها فيبرّ قسمها".[3]

***- عودة إبراهيم بدونهما:**

جاء أمر الله بعودة إبراهيم – عليه السلام – إلى فلسطين من أجل الدعوة إلى دين الله، وترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل وحدهما، ولما وصل عند الثنية حيث لا يرونه استقبل

---

[1] سورة إبراهيم: الآية 39.

[2] ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 156.

[3] أبو محمد بن أبي زيد: النوادر -نقلا عن كتاب قصص الأنبياء لابن كثير الدمشقي، ص 156.

بوجهه قبلة البيت العتيق وتطلّع إلى السماء، ثمّ رفع يديه داعيا ربّه، وقلبه على وحيده إسماعيل وزوجته، فقال: يقول تعالى: [**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرّمِ رَبّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**][1].

إن المكان الذي تركهما فيه ليس فيه أنيس، والماء الذي معهما قليل ولا يكفيهما، سينفذ لا محالة والصحراء من حولهما وليس هنالك أثر لأيّ إنسان يساعدهما ويؤنس وحدتهما، ولكن لا خيار أمامهما سوى الرضا بقضاء الله وقدره، والله خير حافظا ولا يضيّع عباده.

وقد جاء في هذا السياق حديث لإبن عباس في صحيح البخاري إذ يقول: قال عبد الله بن محمّد: حدّثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن أيوب السختياني وكثير بن كثير بن المطّلب بن أبي وداعة، يزيد أحدهما عن الآخر، عن سعيد بن جبير، عن بن عباس قال: "أوّل ما اتخذ النساء المنطق من قبل أمّ إسماعيل، اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبإبنها وهي ترضعه، حتّى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم أعلى المسجد، وليس بمكّة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمرا، وسقاءا فيه ماء"[2].

*** - هاجر وإسماعيل وحدهما في الحجاز:**

سافر إبراهيم- عليه السلام- وبقيت هاجر وإسماعيل وحدهما هناك، فكانت كلما بكى ابنها أرضعته وبعدما تنتهي تشرب الماء كي يكثر لبنها ولا ينقطع لتطعمه إذا جاع، وظلت هكذا حتى نفذ الماء الذي في السقاء، فلمّا عطش إسماعيل أخذ يبكي، فبدأت تنظر إليه وهو يتلوّى من شدّة العطش، فرفعت يدها إلى السماء ودعت الله أن يرحمهما ويبعث لهما رزقا، مرت الساعات والساعات والصحراء تزيد في لهبها ولهب عطشهما، وإسماعيل يزيد في صراخه، فأخذت هاجر تتطلع حولها وتتلهف لرؤية الماء، فلمحت الصفا أقرب جبل في الأرض بالنسبة لمكانهما، فقامت إليه والملائكة من حولهما يدعون الله بالرحمة لأهل حبيبه إبراهيم، ولما اقتربت منه تخيل لها الماء، فأسرعت إليه، وحين

---

[1] سورة إبراهيم: الآية 37.

[2] ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 156.

وصلت إليه لم تجد شيئا، ثم نظرت نحو المروة فتخيل لها مرة أخرى الماء، فهبطت من الصفا وسعت سعي المجهود حتى أتت المروة فقامت عليها نظرت وبحثت و لم تجد الماء، فإذا ما كانت في الصفا تهيء لها أن الماء في جبل المروة، و إذا ما كانت على جبل المروة تهيء لهما الماء على جبل الصفا، وظلت تجري بينهما وتسعى بحثا عن الماء حتى بلغت سبع مرات فتعبت، فلذلك سعى الناس بينهما.

عندها رجعت لابنها فأشرفت على المروة فسمعت صوتا، "فقالت: صه: تريد نفسها، ثم سمعت فسمعت أيضا، فقالت: قد أُسمِعْتُ إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوطه بيدها، وجعلت تغرف منه وتضع في سقاءها وهو يفور"[1]، قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله أم إسماعيل؛ لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف الماء لكانت زمزم عينًا مَعينًا"[2].

سبحان الله الذي أخرج الماء من الأرض الصلبة، وفجره تحت أقدام ولد حبيبه إبراهيم، ولملمته هاجر حتى صار بئرا، فشربت منه وأرضعت ولدها، وبعدها أخذت القوافل تمر من هناك فتستقر عنده، وأصبح بئر زمزم ملتقى القوافل واتخذوا المكان ملجأ وسكنا، فعمر المكان بالناس وبالتالي أُنِست وحدة إسماعيل ووالدته هاجر لأن: **[اللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ]**[3].

وبعد مرور الأيام والشهور، اشتاق إبراهيم –عليه السلام- لابنه وزوجه، فعاد إلى الحجاز، فوجد المكان الذي تركهما فيه معمورا بالناس وبئر زمزم يفيض ماءا ويسقي الجميع، وقد اخضرت الأرض من كثرة الأشجار والنخيل، فظن –عليه السلام- أنه ظل الطريق حتى رأى هاجر وابنه إسماعيل الذي أصبح صبيا يرعى الغنم، فحمد الله وشكره على نعمته ورعايته لهما.

*** - رؤيا إبراهيم:**

---

[1] ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 157.

[2] المرجع نفسه: ص 157.

[3] سورة يوسف: الآية 63.

في إحدى الليالي نام إبراهيم نبي الله بين أهله مرتاحا، فرأى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل، وكان إبراهيم نبيا صادقا، وحلمه صادقا لا محاله ولا مرد له، فقام من نومه فزعا، وكان الفجر قد أشوك على البزوغ، فتطلع حوله ووجد إسماعيل نائما بين أحضانه وعلى وجهه إشراقة الهدى والصلاح، ثم قام إلى الصلاة والدعاء لله، ونص الرؤيا في القرآن الكريم صريح ويتجلى في قوله تعالى: [**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينْ99 رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينْ100 فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمْ101 فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينْ102 فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينْ103 وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمْ104 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينْ105 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينْ106 وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمْ107 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينْ108 سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمْ109 كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينْ110 إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينْ111**][1]

*** – إبراهيم يلبي أمر ربه:**

سأل إبراهيم –عليه السلام– ربه أن يهب له من الصالحين ذرية طيبة، فاستجاب له وبشره بغلام حليم وهو إسماعيل –عليه السلام– فهو أول من ولد له، حيث كان عمر الخليل آنذاك يناهز الست والثمانين سنة –86– وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه ابنه البكر، ولما كبر هذا الغلام واشتدّ عوده؛ أصبح يسعى مع أبيه في قضاء حوائجه ودليل ذلك قوله تعالى: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ**][2] أي شب وكبر وصار يسعى في مصالحه كأبيه و أصبح قادرا على الرحيل ويملك طاقة ما يقوم به أبوه من السعي والعمل، عندها أمر –عليه السلام– بذبحه فهو لم يعد صغيرا بل أصبح قادرا على تحمل المشاق والمتاعب.

إن هذا الابتلاء يعد من أعظم ما ابتلى به المولى عز وجل نبيّاه إبراهيم وإسماعيل، حيث أمر الأب بذبح ابنه، ويجب على كل منهما الامتثال لأمره والطاعة والتنفيذ، وبالتالي لابد عليهما أن يتغلب على كل عاطفة وميل، فالله تعالى يختبر خليله بذبح ولده العزيز –إسماعيل– الذي وهبه له على كبره، وكان رد الابن مثالا للطاعة والخضوع والحلم، وأي

[1] سورة الصافات: من الآية 99 إلى الآية 111.

[2] سورة الصافات: الآية 102.

حلم أعظم من أن تطيب نفس هذا الابن المذبوح لما يريده ربه وأبوه، وأي طاعة تفوق رضاه وقبوله بالقضاء عليه في سبيل الله وتنفيذه للأمر.

***- إسماعيل يطيع أمر ربه:**

واجه إسماعيل -عليه السلام- هذا الحكم بكل رضا ومحبة من غير تردد ولا تولى، مصداقا لقوله تعالى: [**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**][1]، فإبراهيم -عليه السلام- أخبر ابنه عما رآه في المنام وقصد مشاورته في الأمر وترك له مسؤولية اتخاذ القرار، حقا "إنه عرض في غاية من الإيجاز والسهولة، ولكنه يتضمن أمرا في غاية الخطر، هو بذل الحياة والروح طاعة لله"[2]، لكن إسماعيل لم يكن عاقا لوالده ولا عاصيا لربه، بل طائعا وصابرا ومحتسبا، حيث حسم الموقف بجملتين قالهما لأبيه، خلدتاه في سجل الأنبياء الصابرين، وجعلنا منه قدوة للمؤمنين الصالحين حيث قال: [**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**][3] أي لا تأخذ رأيي و"أمضي لما أمرك الله به من ذبحي...وهو جواب من أوتي الحلم والصبر وامتثال الأمر، والرضا بقضاء الله"[4] وكأنه يرد عليه قائلا: لا تشاورني ولا تسألني بل نَفِّذْ ما أمرك به الله دون تردد ولا إبطاء، ثم يثبت قراره قائلا: [**سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**][5]، حقا إنه رد في غاية الطاعة والولاء والسداد في الرأي ودليل على صلاح الابن وطاعته لوالده وربه، فهو يأمر والده بأن يفعل ما أمر به المولى تعالى وسيجده إن شاء الله صابرا وطائعا، "فهو لا يدّعي بطولة، ولا يتطاول بقدرته على التحمل، بل يَكِلُ الأمر إلى الله ويستند في صبره إلى إذنه ومشيئته، وإنه بهذه المشيئة المعينة والموافقة، سيدخل في زمرة الصابرين"[6].

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن، مكتبة الشركة الجزائرية، طبع بمطابع دار البعث، قسنطينة- الجزائر، 1988، ص 81.

[3] سورة الصافات: الآية 102.

[4] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، المجلد الثالث، دار القرآن الكريم- بيروت، الطبعة الثانية، 1401هـ- 1981م، ص 40.

[5] سورة الصافات: الآية 102.

[6] يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن، ص 82.

لقد سلم كل من الابن والأب الأمر لله بكل خضوع وقبول وطمأنينة وصدقا القول والعمل، فأسلم الابن عنقه، وتله أبوه للجبين، يقول تعالى: [**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينْ**][1] أي استسلما لأمر الله وعزما على التنفيذ، وتهيأ إسماعيل للذبح وتله أبوه للجبين أي: "ألقاه على وجهه قيل: أراد أن يذبحه من قفاه، لئلاّ يشاهده في حال ذبحه، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما"[2].

أما الدكتور فضل حسن عباس في كتابه القصص القرآني فيقول في هذا الصدد ما يلي: "وتلّه للجبين، أي: صرعه على شقّه، فوقع على أحد جبينه على الأرض تواضعا على مباشرة الأمر بصبر و جلد ليرضيا الرحمن"[3].

وقيل: بل أضجعه كما تضجع الذبائح، بقي طرف جبينه لاصقا بالأرض أما لفظ "أسلما" يدلّ على أن إبراهيم –عليه السلام– سّمى على ابنه إسماعيل ثم كبّر وتشهدّ ابنه استعدادا للذبح، قال السدّي وغيره: "أمرّ السكين على حلقه– أي رقبته– فلم تقطع شيئا، و قيل جعل بينهما وبين حلقه صفيحة من نحاس والله أعلم..."[4]

*** – جزاء الإحسان والطاعة:**

ينادى إبراهيم من طرف ربه، وقد تَلّ ولده للجبين، فيقول تعالى مخاطبا إياه: [**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمْ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا**][5]: أي قد عزمت على تنفيذ أمر ربك، حيث تحقق المراد من اختبارك، وذلك بتصديقك لأمر الله وطاعتك له، ثم مبادرتك وشروعك في قضاء ما أمرك به المولى في المنام، حقا إنها أعلى مراتب الإحسان والطاعة من الأب والابن معا، ولابد للمحسن أن يكافأ ويجازي على إحسانه مصداقا لقوله تعالى: [**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلاّ الإِحْسَانُ**][6]. حقا هو ابتلاء عظيم قصد من خلاله المولى عزّ وجل اختبار خليله إبراهيم وابنه إسماعيل، وبالطبع نجحا في الامتحان، فوعدهما الله بخير الجزاء على إحسانهما وصبرهما وطاعتهما وذلك حين يقول تعالى: [**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي**

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] ابن الكثير الدمشقي: قصص الأنبياء : ص 162.

[3] فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته، ص 152.

[4] ينظر: ابن الكثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 162.

[5] سورة الصافات: الآيات 104– 105.

[6] سورة الرحمن: الآية 60.

الْمُحْسِنِينَ][1]، فلا غرو لقد جاءت البشرى من السماء لأنه صدق الله فصدقه، عندها جاء أمر الله مبشرا إبراهيم وإسماعيل أي: مثلما أحسنتما إلينا سنحسن إليكما، وما كان ذلك إلا ابتلاء وامتحان من المولى عز وجل ودليل ذلك قوله تعالى: [**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**][2] أي أن تلك الرؤيا لم تكن لتدعو الامتحان والاختبار الظاهر والبين لعبده إبراهيم ثم يكرم هذا العبد الطائع بالفداء، حقا إنها البشرى، يقول تعالى: [**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**][3] أي: جعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه، حيث يفدى الولد البار بذبح –كبش– يقوم إبراهيم بذبحه عوضا عن ابنه، و بهذا يكرم كل من إبراهيم وإسماعيل اللذان جمعا بين عزّ الإيمان وخضوع العبودية، وهذا أقوى دليل على طاعتهما لله الواحد القهار.

والمشهور عن الجمهور أن الفداء كبش عظيم أبيض أعين وأقرن رآه مربوط –أي إبراهيم– بسمرة في ثبير[4]، قال الثوري عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا"[5].

وقال سعيد بن جبير: "كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر، وعن ابن عباس قال: "هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه، وهو الكبش الذي قربّه ابن آدم، فتقبل منه"[6].

قال مجاهد فذبحه بمنى، وقال عبيد بن عمير: "ذبحه في المقام، إماما روي عن ابن عباس أنه كان وعلا"[7].

فمن خلال هذه الأحاديث نستشف أنه عدا ما جاء به ابن عباس فهو موثوق به أما باقي الأحاديث فمأخوذة من الإسرائيليات، وفي القرآن العظيم ما هو أشمل وأعمق وأدل، فالذبح العظيم كان كبشا ولم يكن سواه.

---

[1] سورة الصافات: الآية 105.

[2] سورة الصافات: الآية 106.

[3] سورة الصافات: الآية 107.

[4] أخرجه ابن جرير وابن حاتم وابن مردودية في تفاسيرهم، عن علي موقوفا في الدر المنثور –نقلا عن ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 161.

[5] أخرج ابن أبي شبيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم نقلا عن ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 161.

[6] أخرجه عبيد بن حميد وابن المنذر والحاكم في الدار المنثور –نقلا عن ابن الكثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 162.

[7] وعلا: وعل يعل: وعلا الرجل: صار شريفا، والوعل: تيس الجبل.

*** – بناء الكعبة:**

بعدما ماتت أم إسماعيل، تزوج –عليه السلام– من امرأة من قبيلته، وبعد مضي أعوام عاد إبراهيم ليطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل زوجته عنه فقالت: "خرج يبتغي لنا"، ثم سألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت: نحن بأسوأ الأحوال، نعيش في ضيق وشدة، وشكت إليه سوء معيشتهما، قال إبراهيم فإذا جاء زوجك فأقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة الباب، فلما عاد إسماعيل قال لزوجته، هل جاءكم أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألني عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشتنا؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال : فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم، أمرني أن أقرأك السلام ويقول لك: غيّر عتبة الباب!!! فقال إسماعيل: ذاك أبي، وقد أمرني بأن أفارقك –لأنك أنت عتبة الباب، فالحقي بأهلك فطلقّها.

وبعد أيام تزوج إسماعيل –عليه السلام– من امرأة أخرى، وكان إبراهيم قد لبث عنهم ما شاء الله، ثم أتاهم مرة أخرى فلم يجده أيضا، فدخل على امرأته الثانية فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، قال إبراهيم: كيف أنتم؟ فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله عز وجل وشكرته على نعمته، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء، قال: "اللهم بارك لهم في اللحم والماء" قال النبي ع: ولم يكن لهم يومئذ حبّ، ولو كان لهم حبّ لدعا لهم فيه"[1] قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وأمريه بأن يثبت عتبة الباب، فلما جاء إسماعيل قال: أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتا شيخ حسن الهيئة، وأَثنَت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشتنا؟ فأخبرته: بأن بخير، قال: أأوصاك بشيء؟ قالت: نعم: وهو يقرئك السلام و يأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة، وأمرني أن أمسك و أثبتك فأثبتني في بيتك.

بعد مرور السنين، عاد إبراهيم إلى ديار ابنه إسماعيل ووجده يبري نبلا تحت دوحة قريب من زمزم، فلما رآه قام إليه بشوق وحنين ولهفة المشتاق، فتعانقا وأخذ الأب ابنه بالأحضان، وبعدها قال الخليل لابنه: إن الله أمرني بأمر، قال إسماعيل: فاصنع ما

[1] ابن الكثير الدمشقي: قصص الأنبياء، ص 158.

أمرك به ربي، قال: وتعينني، قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار إلى قمة مرتفعة وما حولها.

قيل: "إن الله عز وجل أرسل شيئا يشبه الغمامة له رأس مدبب إلى إبراهيم، فسمع -عليه السلام- صوتا يقول له: يا إبراهيم... ابن علي ظلي لا تزد ولا تنقص"[1]، والمتعارف عليه أن جبريل -عليه السلام- هو من دل إبراهيم نبي الله على موضع البيت الحرام، وبعد أن اتفق إبراهيم وإسماعيل على طاعة أمر الله ومن ثمة بناء البيت العتيق، صار إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وعندها قال إبراهيم: "بإسماعيل؛ إئتني بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علما، فناداه جبريل -عليه السلام- وقال له: إن لك عندي وديعة وأخبره بالحجر الأسود فوضعه موضعه"[2] فلما ارتفع البناء، قام عليه خليل الله وهو يبني وإسماعيل يساعده بالحجارة وهما يقولان: **[رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ]**[3].

ولما فرغا -عليهما السلام- من بناء البيت العتيق، أمر الله عز وجل إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، ويقال: أن جبريل عليه السلام هو الذي علم إبراهيم -عليه السلام- كيف يحج، ولما حج تبعه الناس.

يقول بعض المؤرخين: "أن بيت الله الحرام لبث على ما بناه إبراهيم وإسماعيل إلى أن هدمته قريش، حين كان عمر الرسول ε خمس وثلاثون سنة -35-، ويقول البعض الآخر أن قوم جرهم -أنسباء إسماعيل- بنوه بعد بناء إبراهيم"[4] أي أعادوا بناءه.

ومن خلال عرضنا للمكونات الحديثة يمكننا تصنيفها إلى مجموعة من الأحداث تتجلى فيما يلي:

1- الحدث المحظور[5]:

---

[1] محمد كامل حسن المحامي: إبراهيم الخليل، ومنشورات المكتب العالمي، بيروت للطباعة و النشر، ص 96.

[2] المرجع نفسه: ص 96.

[3] سورة البقرة: الآية 127.

[4] محمد كامل حسن المحامي: إبراهيم الخليل : ص 98.

[5] حظر: الحظْرُ: الحَجَرِ، وهو خلاف الإباحة، جاء في لسان العرب لابن منظور مج4 ص 202، المحظور: المحرم، حظر الشيء يحظره حظرًا وحظارًا وحظر عليه: منعه، وكل ما حال بينك و بين الشيء، فقد حظره عليك، و في التنزيل الكريم: **[وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا]**، وقول العرب: الأحظار على الأسماء يعني أنه لا يمنع أحد بما يتسمى به، و حظر عليه حظرًا : حجر ومنع.

إن الحدث المحظور في قصة إسماعيل –عليه السلام– يتجلى في ثلاث محاور متتالية، وأول ما يصادفنا منها يتمثل في خوف إبراهيم –عليه السلام– على ابنه إسماعيل بعد نزول أمر الله بذبحه، وعند الذبح، ويبرز هذا الحدث جليا في قوله تعالى: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**][1]، فإبراهيم الأب أمر بذبح ابنه الوحيد في المنام، فاستفاق حائرا مذعورا، وظل خائفا على ولده، لكنه صمم على تنفيذ أمر ربه، فهو الطائع المؤمن والمسلم لأمر المولى، "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون ذلك أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه على طاعة الله تعالى وطاعته لأبيه"[2]، فالوالد جزوع على ولده وخائف على فقدانه، ومفارقته، لكنه ليس مترددا ولا عاصيا بل طائعا وخاضعا ومنفذا لأمره تعالى، "فإن قيل: لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ فالجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكن ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ويوطن نفسه على الصبر"[3].

وثاني ما يطالعنا من الأحداث المحظورة في القصة هو عزم إبراهيم –عليه السلام– على ذبح ابنه –حتى وإن رفض– طوعا أو طاعة لربه، فلذلك عزم على استشارته، ومهما كان جوابه فسوف ينفذ أمر ربه وذلك في قوله تعالى: [**فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**][4]. إن إسماعيل نبي الله نعم الابن ونعم المستشار لأنه لم يخالف أمر ربه ولا رغبة والده، فالمعروف بيننا أنه مهما كان لا يمكن لأب أن يذبح ابنه، لأنه من المحظورات والممنوعات لكن الخليل على الرغم من خوفه على فلذة كبده الأوحد إلا أنه أبى إلا أن ينفذ ما أمره به المولى عز وجل ويجسد اختياره، ومن هاهنا نستنتج ثالث الأحداث المحظورة ويكمن في تسليم إسماعيل الولد البار بوالده للأمر دون أن يبدي موافقة ولا اعتراضا لأنه أحس بما أحسه أبوه من قبله، ووضع نصب عينيه الرؤيا التي هي أمر الله الذي لا رجعة فيه ولا في تنفيذه، كما

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] ابن كثير: مختصر ابن كثير ج3، ص 186.

[3] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص 40.

[4] سورة الصافات: الآية 102.

أنه الأدب مع الله والطاعة والاستسلام لأمر ورغبة والده الطائع لربه، فهذا هو جواب من أوتي الحلم والصبر والرضا بقضاء الله وقدره.

2- الحدث المكذوب[1]:

يتجلى الحدث المكذوب حسب ما روي -لأنه ليس هنا دليل من القرآن- في عزم إبراهيم -عليه السلام- عندما نزلت عليه الرؤيا على ذبح ابنه أنه خرج بإسماعيل قاصد النزهة والاستمتاع، وهذا لا يفضح أمر الذبح أمام زوجته هاجر، فهي الأم الحنون التي تخاف على ابنها الوحيد من كل شيء فما بالك الذبح والفراق إلى الأبد، بحيث لما رأتهما يخرجان سألت زوجها إبراهيم قائلة: إلى أين تأخذه يا إبراهيم؟ فرد عليها قائلا : أنا ذاهب به إلى الجبل كي يتنزه ويلعب" ولم يبدي ما في نفسه من حاجة وقصد، وخوفا على شعورها من معرفة السبب الحقيقي كذب عليها ولم يفصح عن مراده الحقيقي، وما ردّ به عليها ليس حقيقة بل كان كذبا.

3- الحدث العنيف[2]:

نتوقف في هذا الصنف من الأحداث عند نموذجين اثنين من القصة، يتجلى أولهما في إلقاء إبراهيم بابنه إسماعيل وطرحه أرضا عند الذبح، ثم صرعه وكبه على وجهه دون أن تأخذه شفقة ولا رحمة، فقد بدا الخليل هاهنا بارد الأعصاب والعواطف، عنيفا مجبرا غير متردد ولا متواني والدليل على ذلك قوله تعالى: [**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**][3] أي: استسلما وخضعا للأمر، ومن ثمة شرع الأب في ذبح ابنه دون رفق ولا تأني، ومما يضارع هذا الحدث و يتماشى معه في الدلالة ما نلاحظه عندما أخذ إبراهيم -عليه السلام- السكين ومسك عنق ابنه وشرع في ذبحه دون رجعة طاعة لقرار المولى عز وجل، فهذا "هو الاستسلام في حقيقته ثقة وطاعة وطمأنينة ورضى وتسليم... وتنفيذ...

---

[1] الكذب هو الافتراء وإخفاء الحقيقة، جاء في لسان العرب لابن منظور مج1، ص 704. "الكذب: نقيض الصدق، يكذب كذبا وكذبة".

[2] جاء في لسان العرب لابن منظور، مج9، ص 257: عنف: العنف: الخرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق، عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة وأعنفه وعنفه تعنيفا، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره، واعتنافا لأمر: أخذه بعنف، وفي الحديث: إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف من الشر مثله، والعنف والعنيف والمتعنف: أي غير رفيق.

[3] سورة الصافات: الآية 103.

وكلاهما لا يجد في نفسه إلا هذه المشاعر التي لا يصنعها غير الإيمان العظيم"[1]، ونختم الحدث العنيف بالحدث الذي وقع إثر ذبح إسماعيل، أي عندما أضجعه أبوه ليذبحه، فأخذ السكين وشرع في الذبح روي أنه أمرّ السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع"[2]، وهذا أكبر دليل على معاناة إسماعيل عند الذبح من جراء قسوة أبيه الظاهرية والعنف البادي عليه، والذي هو في الوقت نفسه الأب الحنون الخائف على ابنه، والكابت لمشاعر أبوه والطائع لأمر ربه لا لغرض سواه.

4- الحدث المفاجئ[3]:

إن صفة المفاجأة ذات صلة وطيدة بخاصية العنف، لذا فإن للحدث العنيف والحدث المفاجئ علاقة تربطهما بحيث كل منهما يكمل الآخر، ونتوقف في الحدث الذي يمتاز بالمفاجأة عند حدث واحد لا غير ويتجلى في مفاجأة الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل بالفدية والتي وصفها المولى بالذبح العظيم مصداقا لقوله تعالى: **[وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ]**[4]. بحيث عندما بطح إبراهيم ابنه إسماعيل أرضا قاصدا ذبحه وبعد أن أخذ السكين وشرع في ذبحه، وهب الله لهما كبشا عظيما عن طريق ملك من السماء، بحيث أوقف عملية الذبح ليفدي إسماعيل بهذا الفداء، يقول سيد قطب في هذا المجال: "وأنت –يا إبراهيم– قد فعلت، جدت بكل شيء، و بأعز شيء، وجدت به في رضى وهدوء وفي طمأنينة وفي يقين، فلم يبق إلاّ اللحم والدم، وهذا ينوب عنه ذبح، أي ذبح من دم ولحم! ويفدي الله هذه النفس التي أسلمت وأدت، يفديها بذبح عظيم، قيل: إنه كبش وجده إبراهيم مهيأ بفعل ربه وإرادته ليذبحه بدلا من إسماعيل!"[5]، أي عوض أن يذبح إسماعيل سيذبح الكبش الذي نزل من الجنة قيل: "قد رعى في الجنة أربعين خريفا"[6]، لقد صدقا الرؤيا ونفذا أمر ربهما دون

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، المجلد لخامس، دار الشروق، الطبعة الخامسة عشر، 1408-1988م، ص 2996.

[2] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص 40.

[3] جاء في لسان العرب لابن منظور، مج 1، ص 120، فجأ: فاجأه الأمر: بالكسر والنصب، يفجؤه فجأة وفجأة بالضم والمد وافتجأه وفاجأه يفاجئه مفاجأة وفجاء، هجم عليه من غير أن يشعر به، وقيل: إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب.

[4] سورة الصافات: الآية 107.

[5] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2996.

[6] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص 41.

تراجع ولا تردد فجزاهما الله بالمكافأة التي لم تكن متوقعة من طرفهما، بحيث لما أنزل الله الفدية اندهش كل منهما وتفاجأ، فهذا جزاءا و مكافأة من أطاع ربه ولم يعص له أمرا.

5- الحدث الاستدراجي[1]:

قد بدا لنا هذا الضرب من الحدث من خلال تتبعنا لمسار الأحداث في هذه القصة، بحيث أننا لاحظنا حدثا استدراجيا واحدا يتخلل القصة بأكملها، ويتمثل في استدراج الخليل –عليه السلام– لزوجته هاجر في الكلام، عندما نوى تنفيذ أمر ربه وخاصة عندما أخذ إسماعيل وسار به ذاهبا إلى الجبل وقاصدا ذبحه طوعا وتنفيذا للرؤيا، فأخذ يستدرجها في الحديث كي لا تشك في أمر الذبح، بحيث عندما سألته: إلى أين تخرجان؟، أجابها الخليل: بأنهما يقصدان النزهة والاستمتاع في الجبل لا غير، ونفى مراده الحقيقي، إذن استدرج الخليل زوجته في حديثهما كي لا تنتبه للأمر وبالتالي تعارض سبيلهما وطاعتهما لأمر الله، وظل إبراهيم –عليه السلام– يكذب عليهما ويستدرج فيها حتى خرج بإسماعيل وابتعد به عنها وتركها مطمئنة البال والقلب، وفعل الاستدراج ها هنا فعل يراد به الخير لا الشر، فالخليل ظل يدبر في الأمر ويتحايل على زوجته كي لا تعلم بأمر ذبح ابنها لأنه لا يريدها أن تحزن من جهة ولا أن تمنعهما من التنفيذ من جهة أخرى، فهو يقصد الخير من خلال استدراجه لها وكذبه عليها، ذلك لأن الاستدراج عادة يستخدم في التحايل والكذب والخديعة والمكر، أما الخليل، فكان قصده خيرا وليس مكرا.

6- الحدث الإعجازي[2]:

مما لاحظناه من الحدث الإعجازي موقفين اثنين، يتمثل أولهما في رؤيا إبراهيم –عليه السلام– حيث عندما استفاق الخليل من نومه جلس يتأمل فيما رآه، وبدا مندهشا وحائرا بين تنفيذ أمر الله وقتل ابنه وبالتالي فقدانه، أو عصيان الله والإبقاء على ابنه بجانبه، فهو بدا لأول وهلة عاجزا عن اتخاذ القرار وفعل أي شيء، فإذا أطاع ربه فقد ابنه، وإذا أطاع رغبته الأبوية، وشعوره وحنانه وقلبه ولم يذبح ابنه عصى ربه، عندها سار مسار المشورة والمشاورة، فقال لابنه مصداقا لقوله تعالى: **[يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي**

[1] استدرج: يستدرج واستدراجا، واستدرجتك في الحديث: أي سرت معك حسب كلامك، وحدثتك حديثك، وأيضا: كذبت عليك.

[2] أعجز: يعجز، إعجازا وعجز عن الأمر: لا يستطيع القيام به وأعجز فلان فلانا: قيده وكبله عن فعل أي شيء.

المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى][1]، فالخليل عندما رأى الرؤيا في منامه ظل حـائرا ولكن ليس مترددا وبالأحرى ظل عاجزا عن الفعل، عندها استشار ابنه الحليم والبار، "إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه، وينتهي، إنما يعرض الأمر عليه كالذي يعـرض المألوف من الأمر، فالأمر في حسه هكذا، ربه يريد، فليكن ما يريد، على العين والرأس، وابنه ينبغي أن يعرف، وأن يأخذ الأمر طاعة واستسلاما، لا قهرا واضطرارا، لينال هـو الآخر أجر الطاعة، وليسلم هو الآخر ويتذوق حلاوة التسليم...فماذا يكون أمر الغلام الذي يعرض عليه الذبح، تصديقا لرؤيا رآها أبوه؟ إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه أبـوه من قبل"[2]. وعليه يرد إسماعيل على سؤال الخليل قائلا، يقول تعالى: [**قَالَ يَا أَبَتِ اِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّه مِنَ الصَّابِرِين**][3]، لقد تلقى الأمر في طاعة واستـسلام ورضى بحكم الله وقضاءه، وهنا يتجلى الحدث الإعجازي الثاني بحيث عجز إسماعيل عن اتخاذ القرار فرد الأمر كله لأبوه بعد الله عز وجل، وعليه فقد استيقن بقضاء الله لكنه في الوقت نفسه عجز عن اتخاذ القرار مثله مثل أبيه، لكن كان هذا في بادئ الأمر لأنّ "شبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه ولا يفقده رشده، بل لا يفقده أدبه ومودته...ثم هو الأدب مـع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته على الاحتمال، والاستعانة بربه علـى ضـعفه ونـسبة الفضل إليه في إعانته على التضحية ومساعدته على الطاعة"[4]. فالإجابة التي أجاب بهـا الابن الطائع كانت قرارا حاسما لتنفيذ أمر الله الذي لا رجعة فيه، حتى وإن رفض الابن، فالخليل –عليه السلام– قرر بعد تفكير، طاعة لربه وتنفيذا لأمره حتى وإن كان الثمن ابنه الوحيد، فطاعة المولى فوق كل اعتبار.

7- الحدث الإنساني:

ومما يتصل –في حقيقة الأمر– بالحدث الإعجازي ما لاحظناه من الإحسان الذي عقب هذا الأخير في هذا الصنف من الحدث، ولاسيما في آخره، والذي كـان بمثابـة الخاتمـة السعيدة والحسنة في الوقت نفسه، ومجازاة المولى لعباده على طاعتهما وأداء الأمر كما

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2995.

[3] سورة الصافات: الآية 102.

[4] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2995.

أمر به دون تردد، وكان الجزاء كما يلي يقول تعالى: [**إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينْ**][1]، وهذا أكبر دليل على مكافأة الله لعبديه إبراهيم وإسماعيل على طاعتهما وتلبيتهما لرغبته وأمره، ومثلما أحسنا إلى الله أحسن الله إليهما أي: "نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء، ونجزيهم بأقدارهم وإصبارهم على الأداء، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء"[2]. إذن لقد كافأهم الله وجزاهم خير الجزاء وذلك يتجلى في قوله: [**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينْ106 وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمْ**][3] وكانت هذه هي المكافأة والمتمثلة في الذبح العظيم، فعوض أن يذبح إسماعيل – عليه السلام- أرسل الله عز وجل ملكا حاملا بإحدى جناحيه كبشا عظيما لإبراهيم ليذبحه، لأنه صدّق الرؤيا وصدق مع الله، وكان الله خير المحسنين والمكافئين، وبالتالي نجيا ونجحا في الامتحان ومن الابتلاء وعوضهما المولى بالفداء والجائزة الغير متوقعة ويتجسد ذلك في قوله تعالى: [**كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينْ**][4]. وهذا دليل آخر على مجازاة الله عز وجل لعبديه على طاعتهما وتصديقهما للرؤيا ثم تنفيذهما لها دون تردد ولا كلل ولا ملل ولا عصيان. "أي كذلك نجزيه بالبلاء..والوفاء.. والذكر، والسلام والتكريم..وهذا جزاء الإيمان، وتلك حقيقته فيما كشف عنه البلاء المبين"[5].

ثانيا: الشخصيات

أ - الشخصيات حسب ظهورها في القصة:

1- إبراهيم –عليه السلام- :

أول شخصية تظهر في قصتنا هته هي شخصية إبراهيم بن آزر، أبو الأنبياء وإمام الأتقياء وقدوة المرسلين والجد الأكبر لرسول الله محمد عليه أزكى الصلاة و التسليم، وهو والد إسماعيل وإسحاق –عليهما السلام- وهو النبي الذي تتفرع منه شجرة النبوة لتتصل إلى خاتم الأنبياء الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم، كما أن جميع أنبياء بني إسرائيل من نسل إبراهيم لأنهم أولاد يعقوب بن إسحاق مصداقا لقوله تعالى: [**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ**

[1] سورة الصافات: الآية 105.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2996.

[3] سورة الصافات: الآية 106-107.

[4] سورة الصافات: الآية 110.

[5] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2997.

وَ يَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَتِهِ النُبُوَّةَ وَالكِتَاب][1]. فشخصية إبراهيم هي الشخصية الرئيسية في القصة، بحيث يرى –عليه السلام– في المنام رؤيا أمر من خلالها أن يذبح ابنه إسماعيل، فيقفز فزعا من منامه وحائرا بين طاعته لربه بذبح ابنه وبين عصيانه والمحافظة على ابنه، الأمر الذي يؤدي به إلى استشارة ابنه الوحيد آنذاك إسماعيل.

2- إسماعيل –عليه السلام-:

أما ثان شخصية رئيسية تظهر في القصة هي شخصية إسماعيل –عليه السلام– ابن الخليل إبراهيم وأمه هاجر، وهو البكر من أولاده والذي أمر والده بذبحه في المنام، فهو الولد المحب والمطيع لوالده ولأمر ربه في الوقت نفسه، والذي يدرك مدى خطورة ما يقدم عليه أبوه، لكنه لا يكترث، لأنه الغلام الحليم والابن البار الذي يفعل ما يؤمر والذي يكل الأمر كله إلى مولاه عز وجل، ويستند في صبره إلى إذنه ومشيئته، فإسماعيل يجسد تلك الشخصية الصابرة والطائعة والمتدللة للمولى والمنفذة لأمره دون هوادة ولا تردد، نشأ وتربى في الحجر قرب البيت العتيق في مكة المكرمة، ومكث هناك إلى أن وقعت حادثة الذبح، ثم رجع بعد ذلك إلى المكان نفسه ليتزوج منهم ويعيش في وسطهم، ليخلف وراءه اثنا عشر ولدا ذكرا، كلهم رؤساء قبائل، وذكرت أسماؤهم في التوراة، عاش إسماعيل –عليه السلام– مائة وسبع وثلاثون سنة [137سنة]، ومات بمكة ودفن عند قبر أمه هاجر في الحجر.

3- هاجر:

ثم تظهر شخصية هاجر –عليها السلام– زوجة إبراهيم الخليل الثانية وأم إسماعيل –عليه السلام– وهي المرأة الخدوم المطيعة والصابرة الراضية بحكم الله، حيث كانت أمه مملوكة لـ "سارة– زوجة إبراهيم الأولى– وهبها لها ملك مصر الجبار، فوهبتها سارة لإبراهيم لعل الله يرزقها منها الولد الذي طالما انتظرا مجيئه، إذ كانت سارة حتى ذلك التاريخ عقيمة ولم تلد –لأنها ولدت بعد ذلك إسحاق– ولما تزوج إبراهيم هاجر ولدت له إسماعيل –أي قبل ولادة إسحاق–، وشخصية هاجر نستطيع أن نقول عنها شخصية ثانوية في القصة القرآنية، لأنها لم تظهر أثناء تنفيذ أمر الله ولا قبله بل كانت بمثابة العنصر الحيادي لأنها لم تكن تدري بشيء.

---

[1] سورة العنكبوت: الآية 27.

4- الملك:

ثم تظهر شخصية أخرى وهي الشخصية الموحية والموجهة في الوقت نفسه، وذات السلطة والجاه والطاعة للمولى وهي شخصية الملك التي تظهر عدة مرات في القصة، ففي المرة الأولى يبرز جليا في المنام حيث جاء لإبراهيم في منامه وأمره بذبح ابنه طاعة لله، ثم يتولى ظهوره مرة أخرى وذلك عندما أبعد إبراهيم هاجر وإسماعيل عن مرأى سارة ليتركهما في الصحراء القاحلة وحدهما لا زاد ولا أنيس، حيث بعثه الله ليؤنس وحدتهما ويطمئن أم إسماعيل بأن الله حفيظ كريم ولن يتخلى عنهما، قيل "سمعت صوتا فقالت: أغثنا إن كان عندك غواث، فرأت ملكا –وهو جبريل- يضرب بعنقه –وقيل بجناحه- الأرض حتى ظهر الماء فنبعت زمزم..."[1]، ثم يظهر مرة ثالثة عند الذبح وأوان الفداء، حيث جاء بالكبش العظيم ليفدي به إسماعيل مصداقا لقوله تعالى: [**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**][2].

5- قبائل جرهم:

تظهر هذه الشخصيات دون أن يكون لها دورا فعالا في بناء القصة، بحيث لا تشكل أي دور يذكر في هذا العمل الحكائي، إنما كان ظهورها فقط لملأ الفراغ على أم إسماعيل وابنها وتأنيس وحدتهما لا غير.

6- الشيطان:

ومن الشخصيات التي ظهرت بعد ذلك، ولكن بدون أي وظيفة تذكر، شخصية الشيطان، حيث لم يكن ظهوره إلا من أجل تكثيف شخصية الدلالة وتعميق مقاصدها، والتمكين بذلك للقصة في الاستواء والإثراء، ونقصد بهذا وسوسة الشيطان لهاجر زوج إبراهيم –عليه السلام- بعد أن حملت منه، وكانت نتيجة ظهور شخصية الشيطان ومكائده اغترار هاجر وتكبرها على ضرتها سارة.

7- سارة:

ويتوالى ظهور الشخصيات ذات الشأن في البناء السردي للقصة، حيث تظهر شخصية سارة الزوجة المحبة الطائعة، والضرة الغيور والحقود على ضرتها في الوقت نفسه، فهي

---

[1] محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، دار الهدى للطباعة، الجزائر، ص 154.

[2] سورة الصافات: الآية 107.

تجسد الشخصية الحاقدة الحاسدة بسبب الغيرة التي ملأت قلبها تجاه ضرتها هاجر عما رزقت به من المولى عز وجل أولا ونقصد –ابنها إسماعيل– وما تلقاه من معاملة حسنة ومدللة من زوجها إبراهيم ثانيا، فيؤدي بها حقدها وغيرتها إلى طرد هاجر وابنها الذي لم يزل حينذاك طفلا رضيعا، لا يدرك شيئا البتة، وضربت بما كانت تحلم وترجوه من الله –الذرية الصالحة– عرض الحائط، لأن الغيرة قد عمت قلبها وعقلها معا.

ب- الشخصية ومستوياتها في القصة:

إن الشخصية هي العنصر الفعال و"الفاعل" على مستوى القصة وهي عبارة عن كائن نفسي اجتماعي يجسد حالة سيكولوجية، وتشكل وجهة نظر شعورية للشخص الخفي الذي يحدد من خلالها ميوله النفسية واستعداداته البيئية ومزاياه الخلقية، "فالشخصية هي مصدر إفراز الشر في السلوك الدرامي داخل عمل قصصي ما، فهي بهذا المفهوم فعل أو حدث، وهي التي في الوقت ذاته تتعرض لإفراز هذا الشر أو ذلك الخير، وهي بهذا المفهوم وظيفة أو موضوع"[1]. والشخصية إما أن تكون رئيسية، بحيث تشكل المادة الأساسية والدور الأول في القصة، وتكون أكثر حظا من الشخصيات الأخرى نظرا للمكانة المرموقة التي تحتلها، و إما أن تكون ثانوية تساعد الشخصية الرئيسية، للقيام بدورها، وقد تكون بمثابة المعارض لها، وعليه فإن الشخصيات في قصة إسماعيل –عليه السلام– تشكل السلم التالي:

- **الشخصيات الرئيسية:**

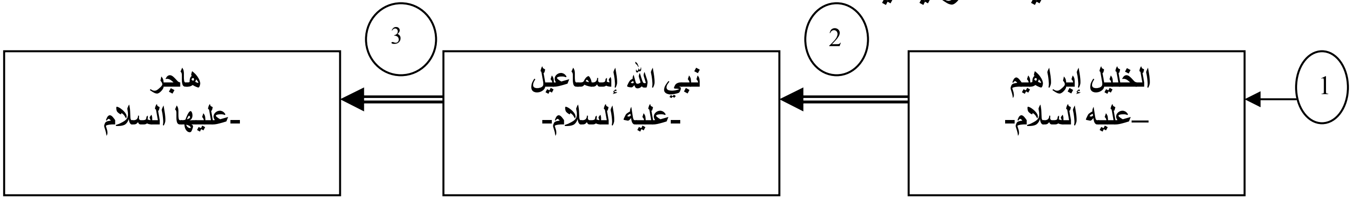

- **الشخصيات الثانوية:**

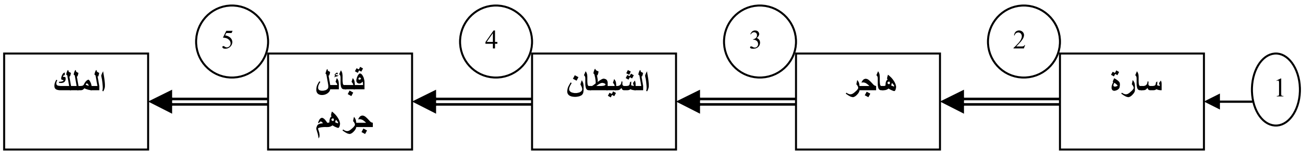

[1] عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 67.

والملاحظ في تصنيفنا هذا أن شخصية هاجر قد تكررت مرتين، حيث احتلت مركــزا في المستوى الأول للشخصيات الرئيسية، واحتلت مرة أخرى محلا مرموقا في المــستوى الثاني الشخصيات الثانوية، ذلك لأن دورها في حياة النبيان معا كان دورا أساسيا وفعــالا فهي زوج إبراهيم وأم إسماعيل، لهذا السبب اخترنا لها مرتبة من مراتــب الشخــصيات الرئيسية، في حين عندما نتصفح أحداث القصة وبالضبط في حادثة الذبح نلاحــظ غيــاب شخصيتها غيابا كليا، بل كان حضورها نفسيا ونلاحظ ذلك عندما شرع إبراهيم في ذبــح ابنه إسماعيل، فكل منهما تذكرها وخاف على شعورها عندما تكتشف الأمر، ولذا اعتبرنا شخصية هاجر رئيسية وثانوية في الوقت نفسه.

وفي هذا الإطار يمكننا أن نميز بين نوعين آخرين من الشخصية بحيث تتجلــى مــن خلالهما أكثر سمات وصفات كل شخصية على حدى وهما كالآتي:

- **الشخصية النامية:**

وهي الشخصية التي تنمو وتتطور بتطور الأحداث، كما أنهــا تتــصف بــصفات ومميزات تبررها تبريرا موضوعيا في محيط القيم الذي تتفاعل فيه معها، وهي ذات طابع ديناميكي تتطور وتتغير وليست ثابتة، وميزتها الخاصة هي المفاجأة والإقناع "إنهــا هــي التي تسرد لغيرها، أو يقع عليها سرد غيرها، وهي بهذا المفهــوم أداة وصــف، أي أداة للسرد والعرض"[1]، ومن الشخصيات التي تنتمي إلى هذا النوع في قــصتنا هتــه، نجــد شخصية إبراهيم –عليه السلام– وشخصية إسماعيل –عليه السلام–:

- شخصية إبراهيم –عليه السلام– النامية:

تتجلى صفة النماء في شخصية الخليل عندما رأى في المنام أنه يذبح ابنه إســماعيل، بحيث لم يتوان ولم يتباطأ، بل نفذ أمر ربه، وفاجأنا –عليه السلام– عندما أخذ ابنه الوحيد

[1] عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، ص 67.

قاصدا ذبحه، وأيضا عندما أخذ السكين وشرع في ذبحه دون تردد، والغاية من هـذا كله طاعة المولى تبارك وتعالى، وتنفيذ أمره دون الأخذ بعين الاعتبار أي اعتبارات يمكن أن تتبادر إلى ذهن أب عادي أمر أن يذبح ابنه، وبهذا الفعل العظيم أقنع الخليـل المتتبـع لقصته مع ابنه بما سيفعله، وأكبر دليل للإقناع هو أمر الله تعالى.

- شخصية إسماعيل –عليه السلام– النامية:

إسماعيل –كما تطرقنا لشخصيته من قبل– هو الابن الطائع البـار بوالديـه، الفاعـل والمنفذ لما يؤمر به، وهذه الصفات أوثق دليل على نماء شخصيته، ويظهر ذلك جليا فـي مسايرته لأبيه ومطاوعته ثم طاعته في أداء أمر الله وأثناء القيام به وتنفيذه. أما عنـصر المفاجأة عنده –عليه السلام– فيتمثل في خضوعه لأمر ربه وتلبيته لرغبة أبيه، وخاصـة عندما بطحه والده أرضا مد عنقه لوالده قصد الذبح دون معارضة ولا دفاع عن الـنفس، في حين نجد عنصر الإقناع تجسد في كونه الابن الطائع لوالده والبـار بـه لا العاصـي العاق، وبخضوعه وتقبله للأمر أقنع القارئ أنه فعلا: الغلام الحليم.

- **الشخصية المسطحة:**

"قسم الباحثون الشخصيات إلى مسطحة ونامية، أما المسطحة فهي الجاهزة، التي لا تتأثر بالأحداث وهي في الغالب تحمل فكرة أو صفة واحدة طوال سير الأحـداث، وهـذه الشخصية يسهل على القارئ أن يتذكرها، كما يقدر على فهم طبيعة عملها الثابتـة بـنفس السهولة التي أتيحت للكاتب لبنائها قصد خدمة فكرتـه علـى مـدى القـصة"[1]. وعليـه فالشخصية المسطحة هي شخصية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل طول سير أحداث القصة فهـي ذات طابع نمطي جامد، وفي هذا المجال نذكر شخصية هاجر.

فهي الأم المحافظة على ابنها في حضور والده وفي غيابه، والحريصة على تربيته تربية صالحة دون اللجوء لأحد ولا الاعتماد أو الاتكال وخاصة عندما تركهمـا إبـراهيم وحدهما في مكة دون ماء ولا زاد ولا أنيس، ظلت هاجر المـرأة المـسلمة الـصابـرة والمكافحة والمصونة لعرضها وابنها، ومن الشخصيات المسطحة الأخرى نـذكر سـارة ضرة هاجر، والملك الذي كان دوره نمطي بمعنى الكلمة إذ أنه كان الأمين والرسول الذي

[1] أحمد طالب: الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 207.

يبلغ رسالات المولى عز وجل وأوامره إلى عباده، ونجد أيضا الشيطان المعروف بخدعه ومكائده ووسوسته، فهو لا يفاجئ ولا يقنع، كما لا ننسى أفراد القبيلة الذين آنسوا هاجر وابنها وحدتهما وملئوا عليهم المكان.

جـ- الشخصيات حسب توافر ذكرها في القصة:

إنه لمن العسير تصنيف الشخصيات في أي عمل من الأعمال السردية إلى مركزية وثانوية، وخاصة في القصص القرآني، لأنك قد تعطي شخصية من الحق أكثر مما تستحق، وقد تحرم أخرى من مكانها المميز، لكن وكما هو متعارف عليه في النقد الأدبي، فبمجرد المتابعة التي تقوم على الملاحظة والتمحيص ومن ثمة "الإحصاء الذي هو حتما في مثل هذا المقام بالذات، ذلك أن تواتر الذكر يجب أن يكون دليلا على شيء ما، أي دليلا على العناية التي خصّ بها المبدع العربي الشعبي، ثم دليلا آخر على أن الشخصية بفضل ذلك، سايرت دور عظيم في نفسها من حيث هي، ثم ذات دور آخر في توليد الشخصيات أخرى إما بالخضوع وإما بالمناوأة"[1]. وفي قصة النبي إسماعيل –عليه السلام– نلفي إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– هما اللذان يستأثران بالذكر عبر القصة القرآنية، حيث يذكر إبراهيم الخليل –ونقتصر هاهنا في العد على حادثة الذبح وبناء الكعبة فقط –حوالي أحد عشرة مرة، ثم يأتي إسماعيل –عليه السلام– في المرتبة الثانية فيذكر حوالي ست مرات ثم تأتي هاجر في المرتبة الثالثة، وهته الشخصيات الثلاث هي التي كان لها الدور الأكبر في تسيير الأحداث البارزة في القصة، أما الشخصيات الثانوية فنذكر منها شخصية الملك الذي ذكر أكثر من مرتين ثم تليه شخصية سارة ثم ذكر الشيطان في المرتبة الأخيرة، دون إغفال سكان قبيلة جرهم الذين سكنوا مكة مع هاجر والذين لا دور لهم في البناء القصص، وعليه يمكننا تجسيد هذه الشخصيات حسب تواتر ذكرها إلى الدرجات التالية[2]:

شخصيات مركزية	إبراهيم *عليه السلام*	11
	إسماعيل *عليه السلام*	6
	هاجر *عليها السلام*	5

---

[1] عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة (تحليل تفكيكي سيميائي لحكاية حمال بغداد) ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية –بن عكنون– الجزائر، 1993، ص 57.

[2] تمثل الأرقام المجسدة في الجدول عدد ورود اسم الشخصية في القصة القرآنية.

شخصيات ثانوية	الملك	4
	سارة *عليها السلام*	3
	الشيطان	2
شخصيات بدون شأن	قبائل جرهم	1

جدول رقم -1-:

ومثلما نلاحظ أن الشخصيات المركزية تأتي في المقام الأول في نص هذه القصة تليها الشخصيات الثانوية وذلك حسب درجتها وحسب ورودها في النص القرآني إلى أن تصل إلى الشخصيات التي لا دور لها في العمل الحكائي والتي تمركزت في الدرجة الأخيرة.

د- طبقية الشخصيات في القصة:

تتميّز هذه القصّة بغلبة الشخصيات ذات المكانة الدينية والاجتماعية الرفيعة، فإذا استثنينا الشيطان نجد أنّ باقي الشخصيات ذات مكانة إسلامية ودينية محظة، ومن الواضح أن معظم الشخصيات في القصة، ولاسيما التي صنفناها ضمن المركزية، هي من الأنبياء والرسل، حيث نجد شخصية النبي إبراهيم الخليل وحبيب الله الذي ترمز شخصيته إلى السلطة الدينية قبل كل شيء، ثم شخصية إسماعيل نبي الله الذي تعد شخصيته أيضا رمزا للوازع الديني والإسلامي المحض والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بشخصية والده -عليهما السلام- ثم نجد شخصية هاجر -عليها السلام- التي لا مناص من أن تكون ذات منزلة اجتماعية دينية، وممّا زادها ثباتا ورمقا صبرها وطاعتها وتحملها، فهي في أرقى مستويات الثقة والثبات وفي هذا المجال لا يفوتنا أن نذكر سارة التي تجسد المنزلة الأرستقراطية فهي المرأة الغنية المكتملة الجمال والجاه، من الطبقة الراقية ومن الشخصيات المرموقة في المجتمع، وهاهي شخصية الشيطان المخادعة التي ترمز إلى الخداع، والنفاق والكذب، ثم نجد شخصية الملك التي ترمز إلى الوفاء والأمان والصدق، ودليل على السلطة الدينية الصادقة.

ثالثا: الحيز.

1- الحيز الجغرافي:

إن الحيز الجغرافي هو المسرح الذي تدور فيه أحداث القصة، وهو الحيــز الحقيقــي الذي يتحدث عن مكان موجود تاريخيا وجغرافيا: أي الحيز الجغرافي العربي والمتمثل في مكة الشريفة وما حولها، والدليل على ذلك قوله تعالى: [**وَإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمْ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلْ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**][1]، فمكة إذن هي نقطة الارتكاز في كل مـــا يصادفنا من حيز، سواء أكان جغرافيا أو غير جغرافيا، لأن بيت الله هاهنا في قصتنا هي المنطلق والمنتهى والمقصد والمبتغى مصداقا لقوله تعالى: [**وَإِذْ يَرفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**]2.

كل الشخصيات المركزية التي تشكل أحداث القصة كانت في مكة وتعيش بها، وعليــه فالحيز الجغرافي الذي تجسده مكة المكرمة يعتبر مجلبة للسعادة ومدعاة لليسار، وعلة في الاستقرار ومصادفة الرخاء لكل شخصية يتاح لها العيش في ظلال هذا الحيــز الــسعيد والكريم"[3]، ومن هاهنا يمكننا استنتاج ما يلي:

أولا: أن إسماعيل وهاجر –عليهما السلام– كانا يعيشان حالة من الفزع والخــوف قبل وصولهما إلى مكة، ولما وطأت أقدامهما أرض مكة المقدسة عاشا في أمـــان الله وحفظه بسعادة وهناء.

ثانيا: أن أرض مكة الشريفة هي أرض الخير والنعيم والهناء المقيم، وهو المكـــان المفضل عند المولى عز وجل، لذا أسكن عباده المفضلين الأتقياء والأعزاء عند أفضل وأحب وأعز مكان عنده تعالى.

ثالثا: أن أرض مكة المكرمة هي مسرح الأحداث في القــصة، فهـــي التـــي أوت إسماعيل –عليه السلام– وحفظته من السوء، وأنجته وأهله من الجوع والخوف، وكـــل ذلك بأمره تعالى، حيث عوضهم تبارك وتعالى عن كل شيء ومنحهم كل مـــا تكتنـــزه أرضه الخيرة من أمن واستقرار وحياة هنيئة، وعليه فأرض مكة هي الحيز الحقيقـــي لأحداث قصة النبي إسماعيل –عليه والسلام–.

---

[1] سورة البقرة: الآية 125.

[2] سورة البقرة: الآية 127.

[3] عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة [تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد]، ص 116.

رابعا: أن البيت الحرام الذي هو مكة كحيز جغرافي، ذكر بلفظ صريح على لسان إبراهيم –عليه السلام– مصداقا لقوله تعالى: [**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَتِي بِوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**][1].

فذكر الحيز هاهنا كان دقيقا وموحيا ودالاّ عليه، ومحددا إياه بصريح اللفظ وخاصة في قوله [**عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ**] ويقصد به مكة الشريفة.

2- الحيز المائي:

ويشمل هذا الحيز بحكم مفهومه ومعناه: الأنهار والمياه والبحار وما إلى غير ذلك مما نشأ عن المياه ويخرج منها وما يحدث فيها من أحداث، ومغامرات ومعتقدات شعبية، وقد صادفنا نموذجا في القصة دالا على هذا النوع من الحيز والمتمثل في بئر زمزم الذي تفجر نبعه تحت أقدام إسماعيل –عليه السلام– لما ظمأ من شدة العطش ليصبح ماءا غورا وبئرا يستقي ويشرب منه الناس بعدما امتلأت مكة بالسكان، وعليه فإن الحيز المائي كان يلازم شخصية إسماعيل إلى أن نبع تحت أقدامه بإذن من المولى عز وجل، والدليل على ذلك أنه لما عطش –عليه السلام– بدأ يبكي ويصرخ ويتلوى من شدة العطش، أخذت هاجر تذهب وتأتي بين الصفا والمروة بحثا عن الماء، ومكة حينذاك لم يكن فيها بئر ولا نهر، فظلت تسعى بين الصفا والمروة بحثا عن الماء، "وبينما هي على المروة سمعت صوتا فقالت: أغثنا إن كان عندك غواث فرأت ملكا –وهو جبريل– يضرب بعنقه– وقيل بجناحه– الأرض حتى ظهر الماء فتبعت زمزم، فجعلت أم إسماعيل تحوط الماء وتغرف منه وهو يفور وتسقي ابنها..."[2]، نصر الله أم إسماعيل، ونصر ابنها معا وخلق لهما الماء، وبقى زمزم في ذلك المكان، فكان بئر الذي هو شفاء لكل داء وسقم هو الغوث الذي أغيث به أم إسماعيل والدليل على ذلك مكانه الموجود فيه الذي لا يزال نابعا ومتفقا فيه إلى يومنا هذا، وعليه نخلص إلى أن هذا الحيز المائي الذي كان في أول أمره مكانا مسطحا لا يتحرك ولا ينمو ولا يشعر بوجوده ولا بتدفقه، يتغير ويتحرك ويتفجر بحكم وبأمر من المولى عز وجل، حيث بدأ المكان ينتفخ ويحدث صوتا حتى تفجر الماء تحت

---

[1] سورة إبراهيم: الآية 37.

[2] محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 154.

أقدام نبي الله إسماعيل، فبفضل هذا الحيز تخلص كل من إسماعيل وهاجر –عليهما السلام– من الخطر الذي كان يحذق بهما، حيث أنقدهما من المصير المجهول "فالشكل الحيزي هنا عجيب فعلا، والمنظر الحيزي نتيجة لذلك رائع حقا...وهذا الذي يعنينا أكثر، الأمواه التي تزحف على هذه الأشكال الحيزية من كل أقطارها: فتغمر جانبا منها ويعلو عليها جانب آخر فيشكل يابسة، ولكنها يابسة تعوم في الماء، وتغرق في السماء"[1]، فالحيز المائي هاهنا كان رمزا للحياة ونبضا للسعادة والهناء، فكان هذا الأخير بمثابة النقلة الهامة في حياتهما –عليهما السلام–، والملاحظ في هذا الصدد أن المسافة بين الحيز الجغرافي والحيز المائي لم تكن طويلة بمعنى الكلمة ولكنها أحدثت تطورات وتحولات مهمة عند كل من شخصية إسماعيل وشخصية هاجر، لأن الحيز المائي منحهما الحياة والأمل في كنف طاعة الله ونعمه.

3- الحيز المتحرك:

هذا الحيز من أكثر أنواع الحيز روعة وأشدها إثارة ولاسيما في القصص القرآني، وأيضا: "إذا كان تحركه ناشئا عن أسباب خفية تعود إلى قوى غيبية كانت الذهنية الشعبية، ولا تبرح تؤمن بها فتصيبها في سردها الحكائي"[2]. ومما صادفنا من هذا الضرب من الحيز في هته القصة، ما نجده في قول إبراهيم –عليه السلام– إذ يقول تعالى: **[وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ]**[3]. إذن استدبر إبراهيم الخليل مرحلة من حياته، ليستقبل مرحلة أخرى وليفتح صفحة أحسن من التي طواها :"إنها الهجرة... وهي هجرة نفسية قبل أن تكون مكانية"[4]. بحيث ترك كل شيء مضى من حياته في تلك الأرض مع أيامه الخالية حلوها ومرها، وهاجر إلى ربه، وكأنه إنسان آخر لا صلة له بماضيه، وكأنه ولد من جديد، مسلما نفسه لربه، موقنا بأنه سيهديه إلى الحق وسيرعاه ويسدد خطاه، أي "لما نجاه الله من النار، وخلصه من كيد الفجار، هجر قومه واعتزلهم، والمعنى أني مهاجر من

[1] عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة، ص 128.

[2] نفس المرجع، ص 132.

[3] سورة الصافات: الآية 99.

[4] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2994.

بلد قومي إلى حيث أمرني ربي، قال مقاتل: هو أوّل من هاجر من الخلق مع سارة إلى أرض الشام"[1].

إن الحيز المتحرك هاهنا تجسده شخصية إبراهيم الخليل لأنه قرر الانتقال والتحرك والتغيير علّ الله يهديه إلى اليقين ويخلصه من الجحيم، لقد هاجر هجرة وصفها سيد قطب كالتالي: "إنها الهجرة الكاملة من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن أواصر شتى إلى آصرة واحدة لا يزاحمها في النفس شيء، إنه التعبير عن التجرد والخلوص والاستسلام والطمأنينة واليقين"[2]، وعليه فإن الخليل أعلن أنه ذاهب إلى ربه، وقرر الانعزال عن كل ما له صلة بماضيه وأهله وأرضه، لقد انعزل ليتفرغ إلى العبودية والهداية، إلى طريق المولى عز وجل وحده لا شريك له، عله يستجيب لدعائه، ويهب له ذرية صالحة، فالذي نستنتجه إذن هو: أن الحيز المتحرك تجسد أولا في شخصية الخليل لأنّ تحركه لم يكن عبثا بل كان لغرض الانقطاع عن الكل والتفرغ لعبادة الله، قصد التجرد والإبقاء على قلبه سليما، لعل وعسى ربه يستجيب لدعائه ويحقق مبتغاه، أما ثاني ما تسجد فيه الحيز المتحرك هو شخصيتي إسماعيل وهاجر، حيث انتقلا من بيت إبراهيم وسارة –أي حيث كان يسكنان– إلى أرض الله الواسعة وبالضبط إلى بيته عز وجل، فالمسافة التي قطعها بهما إبراهيم أكبر دليل على تحريك وتحرك الحيز، وتحركهما أيضا لم يكن عبثا بل كان مقصده واضحا وبينا:

أولا: إبعادهما عن عيون سارة التي ملأت الغيرة قلبها وعمت عقلها عندما عرفت أن هاجر قد حملت من إبراهيم، وعليه كان تحركهما في صالحهما لأن سارة كانت قد أقسمت على أنها ستفعل شيئا لهاجر هذا إن لم تقضي عليها، إذن فالسفر كان خيرا لهاجر ولابنها إسماعيل.

ثانيا: سدد الله خطاهما حيث اتجه بهما إلى أن وصلا إلى مكان زمزم وأقصد الصفا والمروة، وفعلت هاجر ما فعلت حتى حصلا على الماء ومنذ ذاك الحين أصبح الحجاج يسعون بين الصفا والمروة ويسقون من زمزم، إذن لو لم تسافر هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان كل هذا ولما وجد زمزم، فالحيز المتحرك هاهنا أدى دورا

---

[1] محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص 39.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2994.

حقيقيا، وخلف آثارا دينية محضة وبصمة يذكرها ويراها كل من بلغ الصفا والمـروة وشرب من بئر زمزم.

4- الحيز النبوي :

وقد صادفنا من هذا الحيز ما يدل على البيئة التي عاش فيها النبي إسـماعيل –عليـه السلام– ويتجلى ذلك في قوله تعالى: [**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**]1، وهذه المهمة لا يكلف بها إلا من كان حبيبا إلى الله، وكان إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– أحباء الله وأنبياؤه، لذا كلفهم عز وجل بمهمة تطهيـر البيت الحرام بيت الله العتيق، ومما يثبت ذلك قوله تعالى: [**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**]2، وأيضا قوله عز وجل: [**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**][3]، وهذا ما يثبت ويعكس البيئة التي عاش فيها النبي إسماعيل –عليه السـلام– حيث ولد ونشأ وتربى في بيت النبوة والأنبياء من بعده ابتداءا من والده إبراهيم وصـولا إلى أخيه إسحاق ويعقوب ويوسف، إذن عاش عليه السلام في محيط تغمره آثـار النبـوة والإسلام لذا رزقه الله هذه الصفة التي رفعته عن باقي أبناء جيله، فجعلـه نبيـا حليمـا وصديقا مصداقا لقوله تعالى: [**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**][4]، وهته الآيـات هـي الأخرى أكبر دليل على أنه –عليه السلام– كان نبيا وعاش في بيت تربت علـى عرشـه النبوة والصدق والإيمان، انطلاقا من والده –كما ذكرنا– إبراهيم الخليل وصولا إليه حيث جعله الله عز وجل نبيا يهدي العباد إلى طريق الرحمن وإلى السبيل الصحيح.

رابعا: الثنائيـة الضديـة

[1] سورة البقرة: الآية 125.

[2] سورة البقرة: الآية 126.

[3] سورة البقرة: الآية 133.

[4] سورة البقرة: الآية 136.

1- حضور هاجر/ غياب إبراهيم:

عندما علمت سارة زوجة إبراهيم –عليه السلام– الأولى أن هاجر زوجته الثانية حامل قررت الانتقام منها وأبعادها عنه، فأقنعت إبراهيم الخليل بذلك، عندها لبى أمرها وفعل أي : أبعد هاجر عن مرأى سارة، بعدما ولدت إسماعيل وعن القبيلة ككل ذاهبا بهما إلى أبعد مكان ممكن حيث لا تراهما سارة، حتى وصل بهما إلى صحراء مكة المكرمة، حيث تركهما هناك في رعاية الله وحفظه دون أنيس ولا ونيس ولا زاد إلا القليل من الماء، فمكثا هنالك وحدهما حتى منّ الله عز وجل عليهما ببئر زمزم حتى لا يظمأ بعده ولا يجوعا، وعليه فإن المولى عوضهما عن الماء والأكل بماء زمزم لأنه هو المأكل والمشرب، قيل: من شرب من ماء زمزم برئ من مرضه، وشبع من جوعه، واستقى من عطشه، ثم جعل المولى القوافل تمرهم فتقيم معهما حتى لا يستوحشا المكان فيعيشان في رعب، وكان نعم المولى ونعم الحفيظ عليهما، فمن خلال هذا الحدث نلحظ وجود هاجر مع ابنها إسماعيل في صحراء مكة لوحدهما وغياب إبراهيم الخليل الذي كان ينفذ رغبة زوجته الأولى، وفي رواية أنه ذهب إلى أرض فلسطين قاصدا الدعوة إلى الله إلى دينه المنصور، لكنه عندما غادرهما، وقف قليلا ورفع يديه وبدأ في التوسل إلى الله أن يحفظهما ويرعاهما، إذ يقول المولى في كتابه العزيز: [**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَتِي بوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**][1].

وهذه الآية أكبر دليل على ترك إبراهيم –عليه السلام– لزوجته هاجر وابنه إسماعيل وحدهما في أراضي بيت الله المحرم، فهو يصرح بذلك ويدعو لهما الله أن يرزقهم من الثمرات وأن يرسل لهم من يواسيهما ويؤنسهما في وحدتهما وأن يحفظهما ويرعاهما، وكان الله لعبديه عونا وخير حافظا، لأنه المستعان على كل عمل.

2- حضور إبراهيم/غياب هاجر:

إن لفظ "أم" دليل على كل ما تحمله من معنى وإيحاء في طياتها من حنان وحب وعطف وخوف ورحمة، فهي الملجأ الذي يلجأ إليه الابن عند الضيق والشدة وعند الفرح

[1] سورة إبراهيم: الآية 37.

والسرور لأنها الصدر الرحب الحنون الذي يحمل الهموم ويخفف عن الآخرين عبئ الحياة ومشاقها، في حين نجد أن إسماعيل -عليه السلام- ظل مع أمه فقط عندما كان صـــغيرا، ولما كبر صار يواكب والده في كل شيء، والدليل على ذلك أنه عندما أراد إبراهيم ذبـــح ابنه إسماعيل أخذه دون أن يعلم هاجر ودون أن يأخذها معهما، وبالتالي عنـــدما حانـــت لحظة الذبح اختلى الوالد بولده في تنفيذ أمر الله وأبعدا هاجر عن القضية ككل، وهذا أول دليل على حضور إبراهيم الخليل مع ابنه عند الذبح وغياب والدته العطوف التي لو علمت حتما لن ترضى، ومما يثبت هذا الحوار الذي دار بين إبراهيم وإســماعيل عنـــدما قـــرر الخليل تنفيذ أمر الله مصداقا لقوله تعالى: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**][1]، إذن فالآية تدل على أن الخليل شاور ابنه إسماعيل فقط ولم يخبر زوجته هاجر، وأما ثاني اللحظات التي كان فيها غياب هـــاجر واضـــحا، لحظـــة الـــذبح الحاسمة، أي عندما أبعد الوالد ولده وأوقعه أرضا قاصدا ذبحه، ودليل ذلك قوله تعـــالى: [**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**][2]، وعليه نلاحظ أن كلمة "أسلما" تدل على وجـــود شخـــصين اثنين لا ثالث لهما وهما إسماعيل وإبراهيم مما يثبت غياب هاجر عن الساحة التنفيذية.

3- حضور إسماعيل وإبراهيم/غياب هاجر:

بعد ما شب إسماعيل كانت والدته هاجر قد وافتها المنية وفارقت الحياة، فدعاه والـــده لبناء بيت الله، وكان إسماعيل الولد الطائع البار بوالده والمنفذ لأوامره وأوامـــر المـــولى دائما كما عرفناه، فقرّر الذهاب مع إبراهيم الخليل ومساعدته في بناء الكعبة، وعلى أثـــر هذا الحدث نلاحظ أن هاجر لم تكن معهما، فهي لم تغادر المكان فحسب بل غادرت الحياة ككل، إذن لقد أمر الله عبده ونبيه إبراهيم أن يبني له بيتا فيه يحج الناس وفيه يعتمـــرون، فلبى نداءه وأمره، فبنى الكعبة بمساعدة إسماعيل، حيث كان هذا الأخير يـــأتي بـــالحجر ويسلمه لوالده إبراهيم وهو يبني الكعبة، حجر فوق حجر حتى ارتفع البناء وصـــار بيتـــا بإذنه تعالى مصداقا لقوله عز وجل: [**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] سورة الصافات: الآية 103.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعَ العَلِيمُ][1]، ظلا عليهما السلام يبنيان البيت ويـــرددان هذا الدعاء حتى انتهيا من بناء الكعبة المشرفة، ومنذ ذلك الحين عمرت مكـــة المكرمـــة، وظل كل من إبراهيم وإسماعيل في خدمة المولى وطاعة أوامره وتنفيذها والـــدليل علـــى ذلـــك قولـــه تعـــالى: [**وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلْ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**][2]، إذن رفعا القواعد من البيت في الأيام التي كانـــت فيهـــا هاجر قد فارقت الحياة، مما يثبت وجودهما وغيابها أيضا.

4- مشاورة إبراهيم لإسماعيل/حسم إسماعيل للأمر:

عندما رأى إبراهيم –عليه السلام– في المنام أنه يذبح ابنه احتار في الأمـــر، وبقـــي تائها، ولم يخطر على باله أي حل، فقرر أن يستشير ابنه إسماعيل في أمر ربه والـــدليل على ذلك قوله تعالى: [**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكْ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**][3]، إنه يستجيب لنداء ربه ويعرض الأمر على ابنه الذي نزلت فيه الآية وجاءت الرؤيـــا محـــددة إياه في الطلب، "إنه لا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه وينتهي، إنما يعـــرض الأمـــر عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر، فالأمر في حسه هكذا، ربـــه يريـــد، فلـــيكن مـــا يريد...، وابنه ينبغي أن يعرف وأن يأخذ الأمر طاعة واستسلاما، لا قهرا واضطرارا"[4].

فرد عليه ابنه، ذلك الولد الطائع لربه والمحسن إلى والده قائلا: [**قَالَ يَا أَبَتِ اِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَه مِنَ الصَّابِرِين**][5]، لقد حسم الأمـــر بكلمتـــين، فعـــلا لأن إبراهيم الخليل قام فزعا من منامه واحتار في أمر الرؤيا، لكن عندما اختلى به وشـــاوره في الأمر كان إسماعيل الجازم والحاسم للأمر، لأنه أبدى موقفا لم يكن متوقعـــا، فـــسهل الأمر على إبراهيم، فكأنه يقول لأبيه: لا تستشرني، ولا تأخذ رأيي بل افعل ما أمرك بـــه الله، فأمر المولى لا مرد له وحياتي كلها طوعا لك وفداءا لأمر الله. حقا إنه موقف جبـــار لا يضاهى ولا مثيل له اليوم، فالأب الحنون الخائف على حياة ابنه أخبـــره بـــالأمر وود استشارته، لكن الابن لا يريد هذه المشورة بل فضل التنفيذ فورا دون علمه ودون إشعاره

---

[1] سورة البقرة: الآية 127.

[2] سورة البقرة: الآية 125.

[3] سورة الصافات: الآية 102.

[4] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2995.

[5] سورة الصافات: الآية 102.

بخطورة الموقف، وعدم الإطالة في الوقت والإبطاء في التنفيذ، فضل السرعة وعدم التواني والتردد لأنه الابن التقي، الحليم والطائع لربه والبار بوالده.

5- علم إبراهيم بالأمر/جهل هاجر له:

لما استفاق الخليل من منامه بعد ما رأى الرؤيا وجد إسماعيل أمامه فحمله إلى الخارج وقص عليه الرؤيا وكان إسماعيل حاسما للموقف -كما أشرنا إليه- فقررا معا تنفيذ أمر ربهما دون أن يخبرا هاجر أو يحيطونها علما، وفي الصباح الباكر خرجا معا قاصدين الجبل (مكان الذبح)، المكان الذي قررا تنفيذ أمر الله فيه، ولما وصلا عتبة الباب، استوقفتهما هاجر، وخصت بالاستوقاف زوجها قائلة: [إلى أين تأخذه؟ فرد عليها: ذاهبان إلى الصيد بعون الله والتنزه في الجبل، فقالت: حافظ على إسماعيل إني أخاف أن تغفل عنه عينيك فيتيه، فرد عليها قائلا: لا تخافي عليه إني عليه حفيظ أمين، ألست بوالده] ثم خرج به، ولم تذهب معهما هاجر، وحتى في موقعة الذبح، ظلا وحدهما دون تواجدها ودون علمها، وعليه فإن الخليل عندما قرر تنفيذ أمر ربه استفرد بابنه الوحيد حينذاك الذي هو إسماعيل وعزم على ذبحه دون إعلام أمه هاجر، ودون أن يأخذها معهما، وظلت غائبة عنهما حتى كافأهما المولى بالفداء عن إسماعيل وعلى طاعتهما، عندها رجعا معا إليها سالمين غانمين بمكافأة الله لهما ورضاه عنهما.

6- إسماعيل الذبيح/ إسماعيل النبي:

ما من شدة وضيق إلا وتبعها الفرج، وكل صابر على البلاء ينال جزاء صبره على ما ابتلى به، وكذلك الشأن للنبي إسماعيل -عليه السلام- صبر على الابتلاء الذي ابتلاه به المولى ونفذ أمره دون تواني وأطاعه دون تردد، فجزاه الله على صبره وكافأه على طاعته بفداء عظيم في اللحظة التي كان سيذبح فيها، ثم كافأه مرة ثانية بالنبوة، وعليه فإسماعيل -عليه السلام- فضل طاعة المولى وتنفيذ أمره على العصيان والكفر والحياة النكد، نعم: لقد فضل أن يذبح بأمر من ربه على أن يعصيه ويعيش عيش التعساء، زد على ذلك غضب الرحمن عليه إلى الأبد، لكنه الابن الطائع الصبور الذي لا يرد أي أمر يؤمر به فما بالك أمر الله عز وجل، فضل التنفيذ والصبر والابتلاء على العصيان، إنه حقا يستحق النبوة ويستحق خير الجزاء وأحسن المكافآت، لقد صبر على أمر ربه وابتلاءه ثم صبر عند الذبح فجزاه الله بذبح عظيم، جزاه وكافأه بفداء أو كبش يذبحه الخليل عوضا

عن ذبحه –عليه السلام– لنرى كيف كان جزاؤه، يقول تعالى: [**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينْ103 وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمْ104 قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينْ105 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينْ106 وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمْ107**][1].

"إنه الموقف بحق يصور لنا ظآلة كل شيء أمام الإيمان، التضحية بكل غال ونفس في سبيل العقيدة"[2]، حقا إنه ممن يجيدون فن التضحية قولا وعملا كما يقول الشاعر:

ولَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا   عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَضْجَعِي

فعلا: إن جزاء الشاكرين والصابرين عند الله عظيم، فالخليل وابنه إسماعيل صبرا على ابتلاء الله لهما فأكرمهما بخير المكارم، وأحسن النعم فالشكر كان قوليا وعمليا، فجزاهما الله جزاء وأجرًا في الدنيا واجتباهما هداية وسعادة في الآخرة ناهيك عما في الآخرة الذي لا يمكن وصفه، ففيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر.

7- ذبح إسماعيل/ ذبح الكبش:

بعدما قرر إسماعيل وإبراهيم الخليل تنفيذ أمر ربهما وطاعته، خرجا قاصدين الجبل الذي هو مكان وقوع الذبح، ولما وصلا اضطجع إبراهيم ولده إسماعيل أرضا وأخذ السكين وشرع في ذبحه، فلما مرر السكين على عنقه، جاء ملك من السماء حاملا بجناحيه الفدية عن إسماعيل والذي هو كبش عظيم، ليذبحه عوضا عن ذبح إسماعيل، هذا ما يجسده قوله تعالى: [**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينْ106 وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمْ107**][3]، فبعدما كان النبي إسماعيل هو المقصود في عملية الذبح أصبح الكبش الذي فدا به المولى روح إسماعيل هو المذبوح، وعوض أن يذبح إسماعيل ذبح الكبش وجزي إسماعيل على طاعته وصبره وحسنه إلى ربه وبره بوالده، لقد أحسن إلى الله وكان الله وفيا لعبده وجزاه على طاعته وإيمانه القوي بالفدية والمكافأة إنه إحسان يقابله إحسان، وصبر يقابله جزاء، وهذا هو جزاء الصابرين الطائعين الشاكرين الله والحامدين له في السراء والضراء.

<u>خامسا</u>: الأبعاد الزمنية

1- البعد الزمني الواقعي:

أ- هاجر وسارة:

---

[1] سورة الصافات: الآية 105...108.

[2] فضل حسن عباس: القصص القرآني، ص 182.

[3] سورة الصافات: الآية 106–107.

يعد هذا الزمن الذي عاشته هاجر مع ضرتها سارة من الأزمنـــة الحزينـــة، ملـــؤه الغيرة وحب التملك أولا ثم الكره والحقد ثانيا، حيث كانت سارة عقيمـــا لا تلـــد، وكـــان يحزنها أن ترى زوجها الوفي إبراهيم يتطلع ويتشوق إلى الولد وهي لا تستطيع أن تمنحه ما يحلم به، فأشارت عليه أن يدخل بأمتها هاجر الموهوبة لها من ملك مصر، وتمنـــت أن تنجب طفلا تقر به عين أبيه وتتشرح له نفس سارة، فكان ذلك وولدت هاجر غلاما زكيـــا وحليما أسموه إسماعيل مصداقا لقوله تعالى[**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ**][1]. فـــشاركت ســـارة زوجها وضرتها فرحتهما وبهجتهما حينا وشايعتهما زمنا في هذا السرور، ولكن الغيرة لم تلبث أن دبت إلى قلبها وعقدت عليها الكآبة سحابة مطبقة، فأصبحت لا تطيق النظر إلـــى الغلام، ولا تحمل رؤية هاجر، فطلت من الخليل إبعادهما عنها، حيث لا يصل صـــوتهما إلى مسمعها ولا تقع عينها عليهما، فاستجاب لها الخليل فيما أمرته به، فأبعدهما، لكنه فقد الابن الذي طالما انتظر قدومه وتمنته عيونه وجوارحه، وفقد الزوجة التي وهبت له قـــرة عينه الوحيد "حيث انتقل من النور إلى الظلام منذ فقدان ابنه إلى ظهـــوره، فهـــي فتـــرة سيكولوجية مقدرة"[2]، فبسبب غيرة سارة أبعدت هاجر مع ابنها عن الخليل سنين حتى شب إسماعيل وأطاق السعي والعمل، عندها رأى الخليل رؤيا بناء الكعبـــة فارتحـــل إليهمـــا، وكانت هاجر حينذاك قد فارقت الحياة، وعليه نلاحظ أن الخليل غاب عن أسرته سنين أي منذ أن كان الوليد صغيرا ولم يكن يتجاوز الخامسة أو السادسة من عمره إلـــى أن شـــبّ وأصبح رجلا، وهذا دليل على أنه غاب عنهما حوالي عشر سنوات أو أكثر ثم عاد للبحث عنهما، لكن يظل هذا التعداد الزمني مجرد تصوير تقريبي للزمن وليس محـــددا، وعليـــه نستنتج أن هاجر –عليها السلام– عاشت زمنا مرا منذ أن كانت أمة خادمـــة عنـــد ملـــك مصر، ثم عندما بدأت في خدمة سارة وزوجها، إلى أن شبّ الخـــلاف والنـــزاع بينهمـــا ففارقت الخليل آخذة معها إسماعيل حيث استقرا في صحراء مكة الخاليـــة مـــن النـــاس والفقيرة من الزاد والماء، عندها فقط عاشت هاجر زمنا حزينا مـــدقعا إلـــى أن مـــنّ الله عليهما ببئر زمزم ثم نزوح القبائل إليهما، ليتحول الزمن التعيس المر إلى الزمن الـــسعيد المليء بالهناء والسرور.

---

[1] سورة الصافات: الآية 101.

[2] رسالة ماجيستر: قصة يوسف بين النص القرآني والنص الشعبي، فاطمة الزهراء بلحجي، ص 89-90.

ب- إسماعيل وهاجر في مكة:

لم يحدد زمن مكوث إسماعيل وهاجر في أرض مكة المكرمة، حيث توجها إليهـا وإسماعيل لم يزل صغيرا ومكثا هنالك حتى توفت هاجر وشبّ إسماعيل فـالتقى بوالـده الخليل ليبنيا بيت الله المحرم معا، يقول محمد علي الصابوني في كتابه النبوة والأنبياء في هذا الصدد ما يلي: "...وشبّ إسماعيل وتزوج من القبيلة وتعلم العربية مـنهم وأصـبحت مكة مأهولة بالسكان، منذ ذلك الحين بعد أن كانت قفرا موحشا، وتوفيت هاجر وإبراهيم – عليه السلام- لا يزال بعيدا في أرض فلسطين، ثم بعد مرور سنين عديدة حنّ قلب إبراهيم إلى رؤية زوجه وولده فأخذ يقطع الصحاري والقفار، حتى وصل إلى مكة فلم يجد زوجه، ووجد ولده يبري نبلا..."[1]، وعليه فالمدة التي مكثها إسماعيل مع هاجر فـي مكـة كمـا ذكرنا، بالتقريب تقارب العشر سنوات، والدليل على ذلك أنه عليه السلام سافر إلى مكـة وعمره لم يتجاوز السادسة وظل فيها إلى أن كبر وشبّ وتزوج، وعاش بعد وفاة والدتـه فيها إلى أن التقى بالخليل وواصل معه الحياة في طاعة الله وعبادته.

جـ- إسماعيل في موقعة الذبح:

لما شبّ إسماعيل وأطاق السعي والعمل، رأى الخليل في منامه أنـه يـذبح ابنـه الوحيد حينذاك، والرؤيا أمر من الله ولا مرد لها، فاستشار إسماعيل في ذلك فقال: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**][2]، لـم ينتظر إسماعيل لحظة للتفكير ولم يتوقف ولم يندهش، بل تقبل الأمر بصدر رحب وقبـول حسن ورد عليه مطمئنا قائلا: [**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**][3]، لنتصور مدى صعوبة الموقف، ومدى الحزن الزمني الذي كان فيـه كـل منهما، ولكنه لم يبدو عليهما لأنه أمر من الله ولابد من تنفيذه، "فأسلم إبراهيم ابنه فصرعه على شقه وأوثقه بكثافة ووضع السكين على حلقه وأمرّها فوق عنقه، ولكنها لم تقطع، فقد انقلبت في يده وكأنها قطعة خشب"[4]، وحقّا إنه موقف عظيم وغريب في الوقت نفسه، لقد

---

[1] محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 154.

[2] سورة الصافات: الآية 102.

[3] سورة الصافات: الآية 102.

[4] محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 155.

أضجع ابنه وشرع في ذبحه، لكن الله سلب السكينة خاصية القطع والحدة إلى أن جاءهما النداء الإلهي بالفدية والجزاء، مصداقا لقوله تعالى: **[وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ104 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ105 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ106 وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ107]**[1]، وهذا جزاء الإيمان والإحسان والطاعة، لقد فداه المولى بكبش يذبح عوضا عنه، فحادثة الذبح وقعت في مكة، وفي مدة زمنية محددة لم تتعدى الساعة، لكن زمن الطاعة والتنفيذ بالرغم من الألم والمغامرة والنهاية المعروفة، فهو زمن صعب على كل من الخليل وابنه، ولكنه صار أحلى عندما صدر المولى الذي لا مرد لأمره، وعليه فالحيز الزمني هاهنا مظلم بعض الشيء، لكن نور الإيمان والهداية وطاعة المولى طغى على كل ظلام خيم داخل نفسيهما، مما زاد الحيز الزمني إشراقه وسعادة الفدية والجزاء والمكافأة التي أرسلها الله لهما.

د- إسماعيل يبني بيت الله:

إن مكة هي المكان التي قضا فيه إسماعيل حياته، منذ أن كان صغيرا إلى أن أصبح شابا إلى أن صار رجلا، وهو زمن قضاه -عليه السلام- في طاعة المولى وفي تنفيذ أوامره دون تردد، وعليه بعد أن مضت السنين على غياب الخليل عنهما، فكر -عليه السلام- فيهما وحن قلبه إليهما، فسافر بحثا عنهما حتى وصل أرض مكة ووجد إسماعيل يبري نبلا، فعانقه، ثم قال له: "إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك به ربك...، قال: وتعينني، قال: وأعينك، قال: إن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار إلى التل المرتفع قرب زمزم، فعند ذاك رفعا القواعد من البيت"[2]، أخذ إسماعيل يأتي بالحجارة، ويناولها لإبراهيم وهذا الأخير يبني حتى ارتفع البناء، "وهما يرفعان القواعد يدعوان الله أن يتقبل منهما فهو السميع العليم، وأن يجعلهما مسلمين له ومن ذريتهما كذلك، وأن يعلمهما مناسكهما، وأن يبعث في الأمة رسولا منهم يتلو عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم"[3]، مصداقا لقوله تعالى: **[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]**[4]. ظلا يبنيان البيت ويدعوان هذا الدعاء حتى

---

[1] سورة الصافات: الآية 104...107.

[2] محمد الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 154.

[3] فضل حسن عباس: القصص القرآني، ص 169.

[4] سورة البقرة: الآية 127.

انتهيا منه، فالملاحظ أنه ما إن وصل الخليل إلى إسماعيل حتى بادرا في تنفيـــذ أمـــر الله ثانية وهذه المرة بناء بيت الله العتيق، ولم يستغرق هذا العمل زمنا طويلا، لكنهمـــا ظـــلا يسخران كل وقتهما في طاعة الله وتنفيذ أوامره في سبيل الدعوة إليه وهداية الناس أهدى السبل.

2- البعد النفسي:

أ- مظاهر الشقاء:

❁يتجلى المظهر الأول للشقاء في حياة إسماعيل –عليه السلام– في تلك الفترة الزمنية التي عاشها وأمه هاجر مع سارة بكل غيرتها وحقدها عليهما، ثم طردهما إلى أبعد مكان ممكن، حيث لا تراهما ولا تسمعهما وكان لها ذلك، وكما رأينا كانت حياة قاسية، عصفت عليهما بأعاصير كثيرة من الحزن والخوف وحرمتهما الهدوء والأمن والاستقرار، ولم تترك فرحة وبهجة هاجر تكتمل نظرا لسوء تصرفها معها، وهذا أقوى دليل على قسوة الظروف المعيشية حينذاك وإثر إبعادهما عن الخليل، فكراهيتها لهم تسببت في تحويل سعادة الخليل وهاجر بإسماعيل إلى حزن وشقاء وتعاسة وابتعاد.

❁من بين المظاهر الأخرى الدالة على الشقاء الذي عاشه الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل وزوجته هاجر –عليهم السلام– حادثة إبعاد فلذة كبده وزوجته عنه رغما عنه وسيره بهما بعيدا، حيث قطع الصحاري والقفار حتى بلغ جبال مكة الجرداء، وتركهما في ذلك المكان المقفر عند دوحة قرب بئر زمزم دون زاد ولا ماء ولا أنيس إلا كيسا فيه تمرا وجرابا في ماء، وجاء مدبرا لكن هل اطمئنت نفس إبراهيم إلى تركهما وحدهما في مكان موحش ليس به سمير ولا أنيس ولا زاد؟ وبالرغم من ذلك تركهما في صحراء مكة وأدبر موليا راجيا من المولى رعايتهما وحفظهما، عندها رفع يديه ودعا الله قائلا: [**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَتِي بِوَادٍ غَيْرَ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**][1]. وهذا أكبر دليل على حزن الخليل عليهما وشقاءه في غيابهما، لكن هاجر رضيت فريدة مع ابنها في بقعة جرداء لكن تحت رعاية الله ودليل ذلك ما يلي: "لما أراد إبراهيم أن يذهب قالت زوجه هاجر: إلى أين يا إبراهيم؟ أتتركنا هنا! أتتركنا هنا وليس هنا ماء ولا طعام! هل الله أمرك بهذا؟ قال إبراهيم: نعم! قالت هاجر: إذا لا يضيعنا!"[2]، نعم لقد رضيت أن تتعرض للجوع القاتل والعطش المميت، والذئاب الموحشة الضارية! حقا إنه الإيمان

---

[1] سورة إبراهيم: الآية 37.

[2] أبو الحسن علي الحسيني الندوي، قصص النبيين، مؤسسة الرسالة: بيروت، الطبعة الرابعة عشر، 1406هـ–1986م، ص 23.

الحقيقي والثقة بالله، لقد ظلت هناك وبقيت في تلك الصحاري الموحشة والمخيفة مع ابنها الوحيد، راضية ومؤمنة بقضاء الله وقدره، فعلا إنه الشقاء والعذاب، لكن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

❁أما ثالث المظاهر والمحن الدالة على الشقاء التي عاشها الخليل وابنه إسماعيل -عليهما السلام- تتجلى في قوله تعالى: **[قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]**[1]، حقا إنه الابتلاء والاختبار لكليهما، فطالما تطلع الوالد -إبراهيم الخليل- للغلام الحليم الذي يرافقه في الحياة ويحفظه ويحافظ على اسمه وسيرته بعد الممات، وهاهو ذا المولى عز وجل يأمره بذبحه، لنتصور الموقف: "هاهو ذا ما يكاد يأنس ويستروح بهذا الغلام الوحيد، حتى يرى في منامه أنه يذبحه ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية"[2]، لم يتوانى أي منهما بل عزما على التنفيذ دون تردد، فالأمر شاق فعلا: "فهو لا يطلب إليه أن يرسل بابنه الوحيد إلى معركة، ولا يطلب إليه أن يكلفه أمرا تنتهي به حياته... إنما يطلب إليه أن يتولى هو بيده، يتولى ماذا يتولى ذبحه"[3]، فمن منظورنا الواقعي نستشف أنه أيّا كان هذا الأب لا ولن يستطيع ذبح ابنه، هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا شاور الأب ابنه فحتما لن يوافق، وينظر إلى الأمر من منظور الحقد والكره وعدم القدرة على تحمل المسؤولية وأنه يفكر في التخلص منه، لكن في قصتنا هته الخليل وابنه ينفذان أمر الله الذي لا رجعة فيه، وكان هذا قرار النبيان معا، بالرغم مما يحتويه هذا الأمر من شقاء وتعاسة وصعاب إلا أنهما كان أقوياء الإيمان ورسخاء العقيدة، وقلب كل منهما ينبض بالإيمان بالطاعة والتسليم وهذا ما أدى بهما إلى قبول التضحية والبلاء والرضا بالشقاء والخضوع لأمره تعالى.

ب-مظاهر السعادة:

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2994.

[3] المصدر نفسه، ص 2995.

❁ نقف في هذا الصنف من التجليات والدلالات عند ثلاث مظاهر، يتجسد أولها في ولادة إسماعيل –عليه السلام– مصداقا لقوله تعالى: [**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**][1]، حيث دعا الخليل ربه أن يرزقه الذرية الصالحة وكان الله سميع مجيب، ورزقه بإسماعيل الذي وصفه المولى بالغلام الحليم، ولنتصور مدى فرحة إبراهيم الخليل الوحيد المهاجر والمنقطع عن أهله وبلده بهذا الغلام الذي طالما انتظر مجيءه، وحلمت عيناه برؤيته ويداه بلمسة ومداعبته، قال أبو السعود: "جمع الله له فيه بشارات ثلاث: بشارة أنه غلام، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليما، لأن الصغير لا يوصف بذلك"[2]، وأي حلم يعادل حلمه حين عرض عليه الخليل أمر الذبح حيث رد عليه قائلا: [**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**][3].

فلما ولد إسماعيل للخليل إبراهيم انتعشت نفسه لأنه كان قد بلغ من الكبر عتيا حينذاك، قيل: "حيث كان قد بلغ من العمر 86 سنة"[4]، فكانت فرحته وسعادته لا توصفان، وبالرغم من إبعاده عنه، فقد عاش إسماعيل مع والدته في بيئة دينية وسط دفئها وحنانها وعطفها، حيث غرست فيه القيم الأخلاقية والإنسانية الطيبة والحسنة، والدليل على ذلك تصرفاته في كبره مع أوامر ربه وبرّه بوالده.

❁ ثاني المظاهر التي تجسد السعادة والفرح والهناء تتجلى في اكتشاف بئر زمزم، بعدما أبعد الخليل هاجر وإسماعيل وأسكنهما في صحراء مكة الجرداء التي لم يكن بها أنيس ولا ونيس ثم غادر بهما، وبعد ساعات من ذهابه نفذ الماء الذي كان بحوزتهما وتملكهما العطش الشديد، عندها انطلقت هاجر بحثا عن الماء، فوجدت الصفا أقرب جبل يليها، فصعدت إليه، فتراءى لها الماء، ثم هبطت إلى الوادي وسعت سعي المجهود حتى بلغت المروة، فصعدت إليه فتراءى لها الماء مرة أخرى في الصفا فنزلت منه جريا علها تجد الماء، فأخذت تذهب وتجيء بين الصفا والمروة حتى بلغت سبع مرات عندها استوقفها صوت صدر عن الملك، فلما التفتت رأته يضرب الأرض بجناحه تحت أقدام إسماعيل، حتى تفجر الماء ونبعت زمزم، فبدأت أم إسماعيل تحوط الماء وتغرف منه

---

[1] سورة الصافات: الآية 101.

[2] تفسير أبو السعود: ج4، ص 273، نقلا عن صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ص 39.

[3] سورة الصافات: الآية 102.

[4] محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ص 153.

وتسقي ابنها، عند ذاك حمدت هاجر الله وشكرته على نعمته التي أنعم بها عليهما، وعلى رعايته لهما، والرحمة التي أغاثهما بها، وعلى إشباع ظمئهما وخاصة ابنها وكانت فعلا سعادة لا توصف وبهجة لا تتصور، لأن الله خير حافظا وهو المستعان على كل شيء، فبعد الشقاء والعناء اللذان عانت منهما وابنها، هاهما الآن يتمتعان بالعيش السعيد والرغيد، ومما أضفى على حياتهما بهجة وفرح قربهما من بيت الله المحرم، واكتملت سعادتهما لما عمرت مكة بالسكان وتكاثرت البيوت والنخيل، وازدهرت الحياة، فمنذ ذلك الحين عاشا في هناء وأمن وسعادة إلى أن شبّ إسماعيل واكتملت فتوته واشتد عوده وعرف معنى الحياة الأسعد مع والده التي أفناها في طاعة الله، وسخرها للدعوة في سبيله.

۞أما آخر المظاهر المجسدة للفرح والسعادة والسرور تتمثل في مكافأة المولى لعبديه على صبرهما عند الابتلاء وطاعة أمره وتنفيذه دون تواني ولا تردد، إنه جزاء الاستسلام والإيمان والخضوع لله، والمتمثل في الفداء بالذبح العظيم، مصداقا لقوله تعالى: [**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمْ104 قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينْ105 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينْ106 وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمْ107**][1]، لقد صدق الخليل الرؤيا وحققها ولم يتوانى ابنه إسماعيل أيضا عن تنفيذ أمر ربه، ففدى الله هذه النفس الزكية الطاهرة التي أسلمت أمرها إلى ربها وأدت ما أمرت به بذبح عظيم، قيل إنه كبش وجده إبراهيم مهيأ بفعل ربه وإرادته ليذبحه بدلا من إسماعيل[2]، فقد جزاهم الله باستحقاق خير الجزاء...، جزاهم بمثل هذا البلاء، وذلك بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء، "ونجزيهم بإقدارهم وإصبارهم على الأداء، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء"[3]، لقد فرج الله كربتهما مثلما يفعل كعادته دائما مع المحسنين الصابرين، حيث يجعل لهم من كل سد مخرجا ومن كل هم فرجا، لقد فدى روح إسماعيل بكبش عظيم من الجنة، قال ابن عباس: "كبش عظيم قد رعى في الجنة أربعين خريفا"[4]، ولنتصور ثانية مدى فرحة وبهجة وسرور كل منهما، فقد صدقا الله فصدقهما، وبالتالي عاش إسماعيل –عليه السلام– السعادة الكاملة بعدما مر

---

[1] سورة الصافات: الآية 104...107.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 2996.

[3] المصدر نفسه، ص 2996.

[4] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 41.

عليه من ابتلاء ومحن وشدائد، عاش سعادة لا توصف ختامها مسك وهبة من الله ألا وهي النبوة والمقام الحسن.

فهذه ولله الحمد جولة في أرجاء قصة النبي إسماعيل –عليه السلام– القرآنية، استنارت نفوسنا بها هداية وحكمة، وأثلجت بها صدورنا إمتاعا وأنسا، ويكفينا شرفا وعزا وافتخارا أنه من سلالته جاء خاتم الأنبياء والرسل وأفضل الأولين والآخرين سيدنا محمد ε، وبه ختم الله النبوة، وبالصلاة والسلام عليه نختم فصلنا الأول من بحثنا.

أولا: الوظائف الحدثية:

1- الرؤيا:

تبدأ قصة إسماعيل –عليه السلام– الشعبية بالرؤيا التي رآها والده إبراهيم الخليل في منامه، حيث أمره المولى عز وجل من خلالها أن يضحي بابنه الوحيد آنذاك، وبأمر الذبح هذا تجسدت ردة فعل الأب الذي يؤمر بذبح و وحيده الذي طالما انتظر قدومه، إذ يقول القاص الشعبي:

أَتَاهُ مَلاَكْ فِي المَنَامْ قَالُوا ابْنَكْ ضَحِيَّهْ
سَبْقَتْ عْلِيهْ السَّلاَمْ وْطَارْ النُّومْ عْلِيهْ
تْلَتْ لْيَالِي بَالكْمَالْ[1] وْهُوَ يَوْقَفْ عْلِيهْ
ضَحِّي أَبْنَكْ الغْزَالْ الله اطْلَبْ عْلِيهْ

فإبراهيم الخليل يؤمر بتنفيذ برنامج حيث المعادلة المحورية:

إبراهيم ← فعل الذبح، فالفاعل الذات هو إبراهيم والفاعل الرغبة هو الذبح أما الفاعل الموضوع فهو إسماعيل.

2- موقف إبراهيم الخليل:

بعدما أتاه الملك في المنام بأمر من الله آمرا إياه أن يضحي بابنه بُهِت عليه السلام من هذا الأمر وفُزِع لدرجة أن النوم لم يراوده ثانية وطار من جفنيه ففر من مكانه قاصدا التأمل في الأمر والحسم فيه، لنرى موقفه وماذا سيفعل في القصة الشعبية إذ يقول القاص:

بِالرُّؤْيَا صَدَّقْ الرْسُولْ وْقَالْ الطَّاعَهْ لِيهْ
دَمْعُو سَايَلْ[2] لاَ يَزُولْ[3] عْلَى اللِّي[4] عْزِيزْ عْلِيهْ
الصْبَاحْ كِيفْ زَيَّقْ[5] الفْجَرْ عَيَّطْ لاَسْمَاعِيلْ
ابْنُو فَرْ[6] مَنْ الحْجَرْ مَتَّاعْ[7] أَمُّو لَحْنِينْ

يبدأ البرنامج السردي الشاعري بالموافقة (الصدق) وتبدأ معه بطولة إبراهيم الخليل كفاعل الذات.

---

[1] بالكمال: بالتمام [متتاليات].

[2] سَايَلْ: سائل: يسيل.

[3] لاَ يْزُولْ: لا يتوقف.

[4] اللِّي: الذي.

[5] زَيَّقْ الفْجَرْ: بان الفجر، وبزغ.

[6] فر: قفز ونهض مسرعا.

[7] مَتَّاعْ أمو: حجر أمه.

3- قرار إبراهيم عليه السلام:

جاءه –عليه السلام– أمر الله، ولا مرد لأمر تعالى، لقد صدق الرؤيا وقـــرر طاعـــة المولى بالرغم من أنه سيضحي بابنه الوحيد، لكنه اختار الطاعة على العصيان ومن ثمـــة بقاء ابنه حيا، فضل التضحية والإستسلام على الجبن والإدبار، يقول القاص الشعبي فـــي هذا الصدد:

خْرَجْ الرْسُولْ لِلْفَضَـا[1] تَمَّ[2] أرْفَدْ[3] عَيْنَيْهِ
قَالْ الصْبَـــرْ لِلْقَضَـــا[4] رَغْمًـــا[5] أنْضَحِّيهْ

هنا نلاحظ بداية إعلان العقد الذي يربط فاعل الذات بالقوة المحركة للفعل ← طاعة المولى.

4- العزم على تنفيذ أمر الله:

بعدما صدق الخليل الرؤيا وقرر تنفيذ أمر الله دون تراجع ولا توان، جاء دور إعـــلام ابنه إسماعيل بالأمر، حيث اصطحبه معه قاصدا تنفيذ أمره عز وجل بالرغم من احتراقه على فراقه، ليس لأنه سيفقده إلى الأبد، بل لأنه هو من سينفذ فيه أمر الـــذبح وكـــم هـــو صعب هذا القرار، لنرى ماذا يقول القاص في هذا المجال:

نَشَّف[6] دْمُوع الشَقَا[7] وارجَعْ لاسمَاعِيل
لقـــــا[8] الزَّوْجَة مْعَنْقَا أوْلِيـــــدْهَا[9] لَحْنـــِينْ
ارْمَى يَدُّو عْلَى الغْلاَمْ واعْطَى[10] رُوحُـــــو لِيهْ[11]
قـــَالْ للزَّوْجَة بِالبْسَامْ[12] انْرُوحْ[13] انْحَوَّسْ[14] بِيهْ

---

[1] لَلْفْضَا: إلى مكان خال من الناس.

[2] تمّ: هناك.

[3] ارفد: رفع وأعلى.

[4] القْضَا: القضاء والحكم.

[5] رَغْمًا: أمر لابد منه إرغاما عنه.

[6] نَشَّفْ: مسح.

[7] الشْقَا: الشقاء والتعاسة.

[8] لْقَا: وجد ولقي.

[9] أوْليدْهَا: ابنها.

[10] اعْطَى: وهب وأعطى.

[11] ليه: إليه.

[12] البْسَامْ: الابتسام والابتهاج.

[13] انْرُوحْ: أذهب.

[14] انْحَوَّسْ: أتجول وأتنزه.

5- رد فعل هاجر:

قرر الخليل ذبح ابنه –مثلما أمره المولى– وعزم على التنفيذ، وجاء لأخذ إسماعيل كي ينفذ فيه حكم الله ويقدم به قربانا إليه، فوجد ابنه في حجر أمه يغوص في حنانها وعطفها، وهي تعانقه وتحضنه فأخذه لامنها وهو يتبسم، قاصدا عدم إبداء ما كـــان يخفيـــه، حيـــث أوهمها بأنه سيذهب به للتنزه والتجول لا غير، وهي الأخرى ببساطتها لم تشك في الأمر تماما؛ بل وافقته على ذلك وطلبت منه الإنتظار قليلا بغرض تبديل ثياب إسماعيل وتنقيته، يقول القاص الشعبي في هذا الصدد ما يلي:

قَالَت اصْبَرْ يَـــا رْسُولْ انْـــــــــرُوحْ التَّاقِيـــهْ
نَبَدّْلُوا[1] دُوكْ[2] الدْلْـــولْ[3] وَالثُّوبْ اللِّي يْوَاتِيـــهْ[4]

هذا الحدث يبرز لنا بداية اختبارات فاعل الذات الذي يتحلى بسلوك إخفائي: حيث لم يكشف لنا عن برنامجه الآخر، فالنجاح الذي يحققه فاعل الذات يكمن في تنفيذ البرنامج.

6- وصية هاجر لزوجها:

بعدما غيرت هاجر لإسماعيل ثيابه، قبلته ثم أخذه والده من يده قاصدا به حاجتـــه دون علمها ودون إخبارها –عليه السلام– لكن قلب الأم حساس جدا، وكـــأن هـــاجر أحـــست وشعرت بما سيفعله زوجها بابنها الوحيد، والذي أصبح فرحتهما الوحيدة في الدنيا، فأخذت توصي الخليل على إسماعيل قائلة على لسان القاص الشعبي:

أَمُّو مَاهِيشْ[5] عَالـــمْـمَـــا فَايـــَنْ[6] رَايَحْ بيهْ
فَـــرحَانَه بيـــه سَالـــمَا اتـــهـــلالـــي[7] فِيهْ
اخْرَجْ وسَارْ من الخْيَامْ وامّـــُو تْتَبّـــَعْ فِيه
تَبْعَتُو وتْزِيد في السلام لـــوْلِيـــدْهَا لَقْرِيدْ

أما هذا الحدث فيظهر لنا بداية تحقيق الرغبة والخروج من أجل التنفيذ.

---

[1] نْبَدْلُوا: أغير له.

[2] دُوكْ : أولئك.

[3] الدْلُولْ: الملابس.

[4] يْوَاتيهْ: يُنَاسِبُهْ.

[5] مَاهيشِ عَالْمَا: لا تدري.

[6] فَايَنْ: أين؟.

[7] اتْهْلاَلِي: حافظ عليه وصنه.

7- السير إلى تنفيذ أمر الله:

بعدما بدلت هاجر لاسماعيل ثيابه وأوصت الخليل به رفقا وحسنا خرجا معا قاصـــدين مكان الحادثة يتقدم إبراهيم السير، بيد أنه يقدم رجل ويؤخر أخـــرى لـــيس عـــصيانا ولا تهاونا بل رفقا ابنه وخوفا عليه مما هو ذاهب إليه وإسماعيل يتبع والده ولا يدري إلى أين هو ذاهب به ظانا أنه سيتنزه وسيستمتع حيث يقول القاص:

ابراهيم زايد[1] في الخلا[2]   وابنـــــو يتبـــع فيـــه

8- الطير:

سار الخليل ومعه ابنه –عليهما السلام– لقضاء وتنفيذ أمر الله، حتى اقتربـــا مـــن الجبل، وبينما هما يواصلان سيرهما، إذ حام فوقهما الطائر الذي أراد إعـــلام إســـماعيل بالحقيقة المخفاه، ففعل وفضح أمر الخليل ومقصده، يقول القاص الشعبي :

ابراهيم زايد في الخلا   وابنـــو يتبـــع فيه
يسمع الطـــير فلعـــــــلا[3]   قال راح[4] يضحيه

إن الطير هاهنا يبرز كعنصر معاكس لفعل فاعل الذات ومساند في الوقـــت نفـــسه لفعل الموضوع كما أنه يحدث خللا في النظام الفاعلي لإبراهيم.

للطير: ← (−) إبراهيم
← (+)إسماعيل

9- خوف اسماعيل:

لما سمع إسماعيل –عليه السلام– ما قاله الطائر من فوقهما، تعجب لأول وهلـــة مـــن كلامه، ولم يصدق ما سمعه، لكنه بعد ذلك خاف وفزع وقرر أن يسأل والده عما يبوح به الطائر، وعن مدى صحة كلامه، لكن الخليل طمأنه ولم يدخل الشك والريبة إلى قلبه رادا ما قاله الطائر إلى فعل الشيطان لا غير، عندها فقط إطمأن إسماعيل وارتاح باله، ويقول القاص الشعبي في هذا الصدد:

---

[1] زايد: يواصل.

[2] الخلا: المكان المقفر والموحش.

[3] فلعلا: في السماء في الأعلى.

[4] راح: سوف.

اسمَاعِيل خَافْ من البْلا[1] قالُــــوا يَا رْسُولْ

اسْمَـعْ للطّــيرْ في العْلا آشْ[2] رَاهْ يْقُـــولْ

قَالُوا يـــَا بنِي لَعْــــــزيزْ رَاني[3]نَسمـَع فِيهْ

هَدَاك[4] ابْليس النَّحيسْ لَعْـنْ الله عَـلِيـــهْ

أما هذا الحدث فيحيلنا إلى معرفة فاعل الموضوع واكتشاف برنامج فاعل الذات.

10- فضاء تحقيق الرغبة: الجبل:

أقنع الخليل ابنه بأن ما قاله الطائر كان من فعل الـشيطان، ولا أســاس لــه مــن الصحة، فاطمأنت نفسه وواصل السير معه، حتى بلغا مكان التنفيذ والقضاء الذي ستحقق فيه الرغبة وهو الجبل، عندها أحس الخليل بالفشل والإحتراق على فراق ابنـــه، ففاضــت دموعه التي قفزت من عينيه أمام إسماعيل، أما هذا الأخير فازداد حيرة ودهــشة وخوفــا مما يصيب والده، يقول القاص:

لَمَّـــا وَصـْلُوا للجْبَـــلْ عَـــليـــه الســـلام

قَلبُـــوا بالحرقة[5] فْشَـلْ عيـــط[6] يا رحمان

سلَّمْ[7] عَليه من الجْبين دَمْعُـــو فضَّـــح بيهْ

قالُـــوا يَا بُــويَـــا لَحنِيْن مَا بكـــاك حـــزين؟!

11- الكشف عن الحقيقة:

لما رأى إسماعيل والده في تلك الحال استغرب واحتار، فسأله عما يبكيه ويحزنه، فرد عليه الخليل ردا صريحا، كاشفا به عن الحقيقة التي طالما أخفاها عنه وعن أمه، ولم يكن يعلم بها أحد عداه بعد علم المولى عز وجل، وعند ذاك عرف إسماعيل وأدرك بـــأن ما سمعه من الطائر لم يكن من فعل الشيطان بل كانت الحقيقة البحتة، والمخفاة عنه مــن قبل والده الذي كان يلبي ويطيع وينفذ أمر الله، يقول القاص في هذا الصدد ما يلي:

قَالـــوا بــــويا لَحنينْ ما بكـــاك حزين؟!

---

[1] البلا: البلاء والمصائب.

[2] آش: ماذا؟.

[3] راني: أنا.

[4] هداك: ذلك أو ذاك.

[5] الحرقة: الإحتراق النفسي.

[6] عيط: نادى.

[7] سلم: قبل.

قَالـــوا يا كَبدي لغلامْ الله اَطَّلُبْ عَلِيكْ
أتَاني مَلاك في الْمنَامْ أطْلَبْ أنْضحِيكْ

12- ردة فعل إسماعيل:

عرف إسماعيل الحقيقة التي كان يخفيها عنه والده، وأدرك جيدا أنه جاء للتضحية به طاعة لأمر الله وتنفيذا له دون تردد، لكن إسماعيل كان كما وصفه المولى عز وجـل في كتابه الكريم غلاما حليما فلم يغضب والده ولم يعصى ربه، مـصداقا لقولــه تعــالى: "فبشرناه بغلام حليم"[1]، حيث أبدى الطاعة التامة دون تفكير ولا موناناة، لكن الأمر الـذي حز في نفسه وخطر عندها على باله هو أمه الحنون، فطلب من الخليل إخبارها وإعلامها بالأمر، غير أنه كان يود لو كان يعلم من قبل كي يشبع من حنـان أمـه ويرتـوي مـن عطفها، يقول القاص:

أتاني ملاك في الْمْنَام أطّلَبْ نْضَحّيك
قَالُوا الطّاعة يَا رسُول أمّـــــي أعْلَمْهَا
لاش[2] يَا بُويَا مَا تْقُولْ نَشْبَـــعْ مَنـــــهَا

13- جواب الخليل:

أخيرا تمكن إبراهيم الخليل من إقناع ابنه قصد تنفيذ أمر الله، كما أنـه لـم يخبـر هاجر بما سيفعله بابنهما، فقد أوكل الأمر كله إلى المولى عز وجل، بأن يخبرها ويصبرها على فراق ابنها وأن يرزقهم الصبر جميعا، فرد على إسماعيل وهو يعانقه بغزارة قائلا:

عَنّقْ ابْنُــو بَلْغَـــزَرْ[3] مَانِي[4] عَالَمْهَا
الله يَــاتِينَــا الصْبَرْ هُــوَ يَعْــلَمْهَا

14- أوان التنفيذ:

بعد أن مكن الله لإبراهيم في أمر ابنه ويسر عليه إعلامه وإطلاعه على الأمر ثـم إقناعه، حان الآن موعد الطاعة الحقة والخضوع التام، جـاء موعـد التنفيـذ والتطبيـق والتضحية بروح الغالي، والفداء بوحيده طمعا في إرضاء المولى وإثبـات طاعتـه، إذن جاءت اللحظة الحاسمة والتي يختبر من خلالها كل من إبراهيم وابنه إسماعيل، حيث بـدأ

---

[1] سورة الصافات: الآية 101.
[2] لاش: لماذا؟
[3] بلغزر: بغزارة وحرارة
[4] ماني: لم أفعل.

الخليل –عليه السلام– بتقبيل ابنه على الجبين ثم بطحه وطرحه أرضا مستقبلا إياه القبلة ثم أخذ السكين قاصدا ذبحه والتضحية به، يقول القاص الشعبي :

ارْكَعْ بَاسُوا[1] مَنْ الْجبينْ رَفْدُوا[2] قَبَّلْ[3] بِيهْ

ارْمَى يَدُّو[4] عَلَى السّكِين رايــــــحْ يْضحّيه

15- إسماعيل عند الفداء:

استقبل إسماعيل القبلة وتهيأ لأمر الذبح، وحانت اللحظات الأخيرة في حياته، لكنه لم يتركها تمر هكذا بصمت، بل أوصى والده وصية ينبهه من خلالها كي لا تتفطن أمه هاجر للأمر، حيث أمره أن يلمم ثيابه الطويلة كي لا تتلطخ بدماءه عند ذبحه، ومن ثمة يفضح أمره وتعرف والدته ما كان قد أخفاه عنها زوجها بشأن ابنها، وتستخلص من خلال بقع الدم أنه ذبحه، وبالتالي فقدته إلى الأبد، يقول القاص ما يلي:

قَالُــوا ارْفَدْ[5] الكْمُومْ[6] او طَمْ[7] اجلالَك[8]

لتَطْــرُشْ[9] بالدْمُـــومْ أمِي تَفْطَنْ بِيك

16 - نزول الملك بالفدية:

خضع إبراهيم لأمر ربه مستسلما وأطاعه إسماعيل، ولم يتردد أي واحد منهما وجاء موعد التضحية والفداء، فبعدما قبل الخليل ابنه وأخذ السكين ليذبحه نزل ملك من السماء بالبشرى، حيث أتى خلفه وطلب منه عتق إسماعيل وأن ينظر إلى ما وراءه وتصد الفداء والذبح العظيم الذي وهبه الله لهما، عوض ذبح إسماعيل يذبح الكبش جزاءا لهما على طاعتهما واستسلامهما وخضوعهما لربهما، فقد أحسنا إلى الله بتنفيذ أمره فأحسن الله إليهما بالفدية الذي هو التعويض والجزاء الحسن والمعجزة والمفاجأة الكبرى جزاءا لهما عن صدقهما يقول القاص:

---

[1] باسوا: قبله.

[2] رفدوا: حمله وأخذه.

[3] قبل: استقبل القبلة.

[4] يدو: يده.

[5] ارفد: خذ الشيء وارفعه.

[6] الكموم: جمع كم: يدي الثوب.

[7] طم: اجمع.

[8] اجلالك: حاشية الثوب.

[9] تطرش: تتلطخ.

لما جا يـجري[1] عليـــــه	ملاك انــزل قفــاه[2]
قال اعتق ما بين يديك	احــكم آش[3] وراك
قال يا ابراهيم الخليـل	اعتـــق إسمـــاعيل
ما كـــان مثلـــك قليل	مـــن الصـــــادقين

ثانيا: الأحداث:

من خلال تعرفنا على الأحداث المكونة للقصة الشعبية وتتبعنا لها يمكننا تـصنيف أحداثها إلى الأصناف التالية:

1- الحدث التقديمي:

يستهل القاص الشعبي قصته بافتتاحية تشمل الاستغفار أولا ثم ذكـر زمـن تظـم القصيدة ثانيا ليلج إلى أحداث القصة بالتفصيل حيث يقول:

نَستغْفَر قبل مَا تقول	نظَم في نْهَار وليل
على مديره[4] الرسول	ابراهيم الخليــــل

ونجده أيضا مرة ثانية يقدم لذكر أفعال الخليل بعد الرؤيا، بحيث لما استسلم لأمره تعالى، ارتأى أن يختلي بابنه قصد تحقيق أمر المولى والتضحية به، لنلاحظ كيف قدم الخليل ومهد للأمر، يقول القاص:

الصباح كيف زيق الفجر	عيط لاسماعيـــــــل
ابنو فـــر من الـــحجــر	متاع أمو لحنـــين
اخْرَجْ الرسول للفِضَـــــا	ثم ارقَدْ عَينِيــــــه
قَـــال الصبـــر للقْضَـــــا	رَغْمًا نَنْضَحّيــــــــه[5]

وفي المجال نفسه يقول القاص الشعبي حين يقدم إبراهيم الخليل لأخـذ ابنـه مـن أحضان والدته:

ارْمَى ليدو عَلَى الغــلامْ	واعطَـــى رُوحُو لِيه
قال للـــــزوْجة بالبْسَامْ	انْرُوح نْحَـــوَّسْ بيه[6]

---

[1] يجري: يذبح.

[2] قفاه: وراءه.

[3] آش: ماذا؟

[4] مديرة: فعله.

[5] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[6] نفس المرجع.

ونجده مرة أخرى يقدم للأحداث وذلك وعندما وصل كل من الخليل وإسماعيل إلى الجبل وقرر الخليل إعلام ابنه وأخباره بالأمر، حيث توجه أولا إلى الرحمن شـــاكيا إيـــاه أمره راجيا منه الاستعانة والقدرة على أداء المطلوب، لكن فضحته دموعه قبل أن يفصح عما يخالج قلبه وعقله، فما إن أوشك على الكلام حتى سبقته عيناه بالبكاء ممهدة له سبيل، وميسرة عليه إنباء ابنه بالأمر، يقول القاص الشعبي:

لما وَصلـــوا للجبَــل عليـه الســــــلام
قلبُو بالحَرقَة فــــشَل عَيــَّـط يَا رَحـمَن
سَلَّم عَلِيه من الجَبِين دَمعُـوا فَضَّحْ بِيــه
قَالوا يا بُـــويا لحنين ما بگّـاك حزيــن؟!
قالوا يا كَبدي لغـــلام الله اطلَبْ عَليـك
أتَاني مَلاك في المنَام اطلب انضَحّيـكْ[1]

وقد قدم القاص الشعبي مرة أخرى للأحداث وذلك لما أوشك الخليل على التضحية بابنه، وفي اللحظة الحاسمة بعث الله لهما الهدية والبشرى؛ لقد بعث لهما الفدية عـــن روح إسماعيل، حيث لما وصل الملك أوقف الخليل عن الفعل وقدم له الفداء، يقول القاص فـــي هذا الصدد ما يلي:

لمّا جـــــَا يجرّي عَلِيـه مـَـلاك انْــزَلْ قفَـــاه
قال اعْتَقْ ما بيْن يَدِيك احـْـكَــــــم آشْ وْرَاك
قال يَا ابْـــرَاهيم الخليـل اعْتَــــقْ إسمـــَـاعيــل[2]

2- الحدث المحظور:

إن ارتكاب المحظور هو القيام بالممنوع واستعمال المحرم: "إن معظـــم الحكايـــات الشعبية عبر معظم الآداب العالمية... تولع بالقيام على الحدث المحظـــور فـــي نـــسجها وبناءها... فتدفع الشخصية إلى ارتكاب هذا المحظور في الحدث الذي كثيرا ما يكون ذلك علة في تحويل مسار الفعل"[3]، وعليه نتوقف هاهنا عند الأحداث الدالة على هذا الـــصنف من الأحداث، وأول ما يصادفنا من حدث محظور في هذه القصة هو خوف الخليل –عليه السلام– على ابنه الذي اختاره الله تعالى للتضحية، واختياره تعالى أمر لا رجعة فيـــه ولا

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] نفس المرجع.

[3] عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة، ص 23.

مرد له، والخليل عبد طائع ومستسلم لأمر ربه، لكن لنـــرى ردة فعلـــه التـــي أصـــبحت محظروة أمام أمره تعالى، يقول القاص الشعبي:

دَمْعُو سَايَلْ لا يْزُولْ عَلَى اللي عْزِيزْ عَلِيه[1]

أما ثاني ما يطالعنا من ارتكاب للمحظور هو قـــرار وإبـــراهيم –عليـــه الـــسلام– والمتمثل في العزم على تنفيذ أمر الله، وبالتالي ذبح ابنه الذي طالما انتظر مجيئـــه، لكنـــه أمر الله الذي لا مرد له، وعليه فقد أصر الخليل على الفعل وعزم على الفدية بابنـــه دون رجعة، لكنه لاحزن عليه حزنا شديدا أدى به إلى عدم اطلاع إسماعيل على الأمر حتـــى دنيا من مكان الحدث، والمحظور هاهنا يتمثل في عزمه –عليه السلام– علـــى التـــضحية بابنه طوعا وطاعة للمولى، لأنه نبي الله، وأي إنسان آخر يعتبر هذا محظورا وممنوعـــا ومحرما، يقول القاص:

اخرج الرسول للفضا تم افــرد عينيــه
قـــال الصـــبر للقـــضا رغمـــا ننضحيه

ويقول أيضا:

قالوا يا كبدي لغـــلام الله اطلب عليك
أتاني ملاك في المنام اطلب نضحيـــك

ويثبت ذلك أيضا في قوله:

اركع باسو من الجبـــين رفـــدوا قبـــل بيـــه
ارمـــى يدو على السكين رايـــح يضـــحيـــــه[2]

وثالث ما يصادفنا من حدث محظور في قصة إسماعيل –عليه السلام– الشعبية، موقفه من أمره تعالى وطلب والده، والذي تمثل في الموافقة دون تفكير ولا مشاورة لأنه الغلام الحليم الطائع لربه والبار بوالده بحيث لما أبلغه إبراهيم الخليل بالأمر رد عليه طائعا مستسلما، يقول القاص:

أتاني ملاك في المنام اطلـب انضحيك
قالوا الطاعة يا رسول أمـــي أعلمـهـــا
لاش يا بويا ما تقـول نشبـــــع منـــها[3]

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] نفس المرجع.

[3] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

في هذا المجال، وبعدما أعلمه والده بالأمر أخذ يوصي والده من أن يمسه وثيابه الدم فتعلم هاجر بالحدث، حقا إنه حدث محظور بحق، لنتصور الموقف، سوف يذبحه أبوه ويوشك على مفارقة الحياة ويفكر في أمه ودرة فعلها إذا علمت، ولا يفكر في نفسه وفي الذي سيعانيه من أثر الذبح ثم عند الموت، حقا إنه الممنوع بعينه، لنرى ماذا يقول القاص الشعبي في هذا الشأن :

ارمى يدو على السكين   رايح يضحيه
قالوا ارفد الكموم   وطم جلالك
لتطرش بالدموع   أمي نفطن بيك[1]

ومن خلال رده نستنتج أنه –عليه السلام– سلم الأمر لوالده طائعا لربه مستسلما لقضاء وقدره وحكمه.

3- الحدث المكذوب:

ونقصد به "أن الحدث يظل معلقا بين حبال الحقيقة والوهم"[2] وأول نموذج نتوقف عنده حول هذا الحدث هو زعم الخليل أنه آخذ إسماعيل للنزهة والتجول، وهذا دليل على أنه أخفى الحقيقة على هاجر، وعدم إفصاحه عن نيته وسبب خروجه الحقيقي والمتجسد في الذبح لكن هاجر ظنت أنه على صواب، فاستأخرته قليلا بنية تغيير ثيابه، ولما ألبسته طلبت منه أن يحرسه جيدا ويحافظ عليه:

ارمى يدو على الغلام واعطى روحو ليه
قال للزوجة بالبسام نروح نحوس بيه
قالت اصبر يا رسول نروح الناقيه
نبدلو دوك الدلول والتوب اللي يواتيه
أمو ما هيش لدلول فاين رايح بيه
فرحانه بيه سالما اتهلالي فيه[3]

والنموذج الثاني من الحدث المكذوب، يتمثل في تكذيب الخليل للطائر الذي كشف الستار عن الحقيقة لاسماعيل، فالقاص الشعبي يذهب به خياله إلى إضفاء شخصية أخرى في القصة ويولجها في غمار الأحداث وهي الطائر الذي فضح أمر الذبح أثناء سيرهما

---

[1] نفس المرجع.

[2] عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة، ص 33.

[3] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

إلى الجبل، لكن الخليل كذب ما قاله أمام ابنه وادعى أنه إبليس وأن ما يقوله له من فعـل الشيطان صحيحا:

ابراهيم زايد في الخـلا وابنـو يتبـع فيه
يسمع للطير في العـلا قال راح يضحيه
اسماعيل خاف من البلا قالوا يـارسـول
اسمع للطير في العـلا آش راه يقـول
قالوا يـا بني لعـزيـز راني نسمع فيه
هذاك إبليس النحيس لعن الله عليـه[1]

4- الحدث العنيف:

يتسم هذا النوع من الأحداث بالقسوة واللامبالاة والحسم، ويتخلل القـصة الـشعبية بأكملها حدثا عنيفا واحدا، ويتمثل في لحظة الذبح، حيث لما ألقى الخليل بإسماعيل علـى الأرض مستقبلا به القبلة، عندها أخذ السكين وشرع في ذبحه والتضحية به دون رحمـة ولا شفقة وهذا ما يدل على عنف الموقف وقساوته، ويتجلى هذا في قول القاص التالي:

اركع باسو من الجبين رفدو قبل بيه
ارمى يدو على السكين رايح يضحيه

إلى أن يقول:

لما جا يجري عليه ملاك انزل قفاه[2]

ففي أعنف لحظة وأقساها بين الأب وابنه بعث الله إليهما الفداء والبدل عـن روح إسماعيل الصديق.

5- الحدث الإستدراجي:

لاحظنا هذا الضرب من الحدث أثناء تتبعنا وتصفحنا لمسار الأحـداث فـي هتـه القصة الشعبية، حيث تجلى الإستدراج في موقفين اثنين، ويتمثل أولهمـا فـي اسـتدراج الخليل لها في الكلام كي لا تشك في أمر الذبح، وعليه ظل يستدرجها في الكلام ويخادعها حتى أخذ منها إسماعيل وخرج به قاصدا مكان التضحية، يقول القاص:

القـا الزوجة معنقـا أوليدهـا لحنـين
ارمى يدو على الغلام واعطى روحو ليه
قال لـزوجة بالبسـام نروح نحوس بيه

---

[1] نفس المرجع.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

قالــــت اصبر يا رسول — انــــروح الناقيــه
أمو مـــا هيش عـــالما — فايـــن رايح بيــه
فرحـــانه بيه سالمـــا — اتهـــلالي فيــــه[1]

إذن ظل الخليل يستدرج هاجر ويتحايل عليها حتى لا تشك في الأمر وتتوصل إلى السر المخبأ عنها، لبث –عليه السلام– على حاله حتى استفرد بإسماعيل، وظلت هـــاجر مقتنعة بأمر النزهة والإستمتاع.

يواصل القاص الشعبي سرد القصة إلى أن تبين لنا ثاني حدث إســتدراجي فيهـــا، والمتمثل في استدراج الخليل لإسماعيل عندما كشف الطائر السر المكنـــون، حيـــث زج بالخليل في موقف حرج، وظل يتحايل عليه ويسايره في الكلام إلى أن كشف له الحقيقـــة بنفسه يقول القاص:

يسمـــع للطـــير في العلا — قـــال راح يضحيــه
إسماعيل خاف من البلا — قالوا يا رســـــــول
اسمع للطير فـــي العـــلا — آش راه يـقـــــول
قالوا يـــا بنـــي لعزيــــــز — راني نسمـــــع فيه
هداك إبليس النحيـــس — لعـــــــن الله عليه[2]

6- الحدث الإعجازي:

نتوقف في هذا الضرب من الحدث عند نموذجين اثنين يتسمان بمواقف إعجازية بحتة، يتجلى الأول في فعل الخليل عندما استفاق من الرؤيا، حيث أصبح حائرا ومندهشا لما رآه في المنام، ومما زاده حيرة وقلقا تكرارا لرؤيا نفسها ثلاث ليال متوالية، فأمسى عاجزا وحائرا بين تنفيذ أمر الله وقتل ابنه، وبالتالي فقدان وحيده أو عصيان أمر الله وإبقاء إسماعيل حيا إلى جانبه، وعلى هذا فإن إبراهيم –عليه السلام– عندما توالت عليه الرؤيا بالأمر نفسه هم فزعا وعاجزا عن فعل أي شيء ودليل ذلك قول القاص الشعبي الموالي:

أتاه ملاك في المنام — قالوا ابنك ضحيه
سبقت عليه الســـلام — وطـــار النوم عليه
تلت ليالي بالكمـــال — وهو يـــوقف عليه
ضحي ابنك الغـــزال — الله اطلـــب عليه[3]

---

[1] نفس المرجع.

[2]– عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[3] نفس المرجع.

إذن ما جاء به الملك إلى الخليل في ثلاث ليالي متتالية شكل لديه –عليه السلام– الخوف والجزع والعجز في بادئ الأمر، هذا أول الأحداث الإعجازية، أما ثانيها فيمكن في عجز الخليل عن إخبار إسماعيل وهاجر، وإطلاعهما على الأمر في أول وهلة، أي بعدما أتاه الملك في المنام وأمره بذبح ابنه رسالة من الله تعالى، حيث ظل يكتم الأمر، ويحترق لوحده في نار فقدان وحيده ولم يخبرهما بشيء :

اخرج الرسول للفـضا تم ارفـد عيـنيـه
قال الصـبر للقـضـا رغما ننـضـحيـه
نشف دمـوع الشـقـا وارجع لاسماعيل
لقا الــزوجة معـنـقـا أوليـدها لحنـين
ارمى يدو على الغلام واعطى روحو ليه
قال للزوجة بالبسـام انروح نحوس بيه[1]

7- الحدث المفاجئ:

نلاحظ هذه الخاصية في موقف واحد فقط ضمن هتـه القـصة اتـسم بالمفاجـأة والدهشة، ويتمثل في نزول الملك حاملا بجناحيه ذبحا عظيما، فداء وعوضـا عـن ذبـح إسماعيل، لأنهما صدقا الله فصدقهما وكان خير العوض ونعم الجزاء، ففي اللحظة التـي أوشك فيها الخليل ذبح إسماعيل أنزل الله الملك من خلفه، استوقفه ثم أعطاه الفدية "الـذبح العظيم"، بيد أن القاص الشعبي لم يفصح عما أتى به الملك، بل أشار إلى أنه أتى بـشيء لكنه لم يحدد نوع الفداء، فضل هذا الموقف مبهما وغامضا، إذ يقول:

لما جـا يجري عليـه مـلاك انـزل قفـاه
قال اعتق ما بين يديك احـكم آش وراك
قال بإبراهيـم الخليل اعتـق إسـماعيـل[2]

8- الحدث المبتور:

مما لاحظنا من الأحداث المبتورة في قصة إسماعيل –عليه السلام– الـشعبية مـا يلي:

أ– أن القصة الشعبية قد اقتصرت على حادثة الذبح فقط، ولم تتعرض لحيـاة إسماعيل –عليه السلام– من قبل الحادثة ولا لمسيرته بعدها ولا للأعمال

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.
[2] نفس المرجع.

التي قام بها مع والده وعلى رأسها بناء بيت الله العتيق "مكة المكرمة"، وعليه فإن القاص الشعبي بدأ قصته بالاستغفار على فعلة الخليل ليلج إلى غمار الأحداث مفصلة ليصل بنا إلى موقعه الذبح، ثم يختم بما جاء به الملك وأخيرا الدعاء، وعليه فقد كانت البداية كما يلي:

نستغفر قبل ما نقول   نظم في نهار وليل
على مديرة الرسول   إبراهيم الخليـــل

ويواصل سرد الأحداث أن يختم بالدعاء القصيدة والقصة معا، حيث يقول:

الله يرزقنا الصبـــــــــر لينا[1] أجمعين
كيما[2] ارزق شامخ القدر   أب المرسلين
على ابنو الحنين[3]

ب- من الأحداث المبتورة أيضا عدم إفصاح القاص عن الفدية التي جاء بها الملك، بحيث أشار إلى أنه حمل إليه عتقا يعتق به روح ونفس إسماعيل الزكية، لكنه لم يعلن عنه وبالتالي بتره من سلسلة الأحداث إذ يقول:

لما جا يـــجري عـــليـــه   مـــلاك انزل قفـــــاه
قال اعتــــــق ما بين   يديك احكم آش وراك
قال يا إبراهيم الخليل   اعتـــق اسماعيـــــــل[4]

لقد بتر القاص الشعبي حدثا مهما، تسبب في إفساد نهاية القصة الشعبية، وأساء إلى بنية الحدث النهائي، وكان حري به أن يفصح عن الفدية التي جاء بها الملك وعن الجزاء الذي جازى به الله تعالى عبديه الصادقين المخلصين الطائعين كما صورها وجسدها النص القرآني.

<u>ثالثا</u>: الشخصيات

أ - الشخصيات حسب ظهورها في القصة:

1- **<u>إبراهيم الخليل</u>:** نبي الله ووالد إسماعيل ومن أمر بتنفيذ أمر الله تعالى.

2- **<u>الملك رقم1</u>:** الذي أرسله الله تعالى لإبلاغ الرسالة، حيث أنبأ الخليل بالرؤيا.

---

[1] لِينَا : لَنَا.

[2] كِيمَا : كَمَا.

[3] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

[4] نفس المرجع.

3- **إسماعيل -عليه السلام-**: ابن إبراهيم الخليل وهاجر الوحيد، والذي وقع عليه اختيار المولى والإبتلاء، وتقبل الأمر بصدر رحب ودون تردد.

4- **هاجر**: زوجة الخليل ووالدة إسماعيل التي كاد يموت ابنها وهي غافلة عن الحقيقة التي أخفيت عنها.

5- **الطائر**: شخصية خيالية أضافها القاص الشعبي قصد إثراء الحدث، ومن ثمة إنباء إسماعيل بالسر الذي طالما أخفاه عنه الخليل.

6- **إبليس**: شخصية ثانية أدلخها القاص الشعبي في القصة بغرض التحايل والمخادعة والتضليل، حيث لعب دور الحاجب والكاتم للحقيقة، وجسد الستار الذي أسدل عليها، غير أنها مشعة من وراءه، فشخصية إبليس استخدمت لتغطية ونفي قول الطائر.

7- **الملك رقم 2**: هي آخر شخصية وردت في القصة الشعبية، وتجلى دور الملك الثاني في الرسول الذي أرسله المولى بالفداء العظيم ليذبح عوض إسماعيل -عليه السلام-.

ب- الشخصيات بحسب تواتر ذكرها في القصة الشعبية:

إن شخصية إبراهيم -عليه السلام- هي أول ما يطالعنا من شخصيات رئيسية، وقد كان هذا الأخير ذلك العبد الطائع لربه والصابر على ابتلاءه والمستسلم لقضاءه وقدره، لقد نفد أمر الله ولم يستسلم لذاتيته، ولا لوسوسة الشيطان، نعم، لقد حكم عقله ودينه وتغاظى عن قلبه وعاطفته وشعوره، فكان -عليه السلام- قد انتظر طويلا مجيء هذا الغلام الذي وصفه المولى بالغلام الحليم، ولما وهبه إياه جاء أمره تعالى بذبحه، وكان الخليل طائعا منفذا لا رادا لطلبه تعالى.

ومن الشخصيات التي ظهرت بعد ذلك والتي لعبت دورا مهما في الأحداث وهي شخصية الملك الذي نشأت على رسالته فيما بعد كل الأحداث، لما أتى الخليل في المنام وأبلغه بأمر المولى عز وجل، قرر -عليه السلام- تقديم روح ابنه فداءا وقربانا لله كما أمر، وعليه فهذه الشخصية قد أحدثت تغييرا كبيرا في مسار حياة الخليل، وهي بهذا احتلت المرتبة الثانية بعد شخصية الخليل.

أما ثالث شخصية رئيسية تظهر في القصة الشعبية هي شخصية النبـــي إســـماعيل الذي جاء نص الرسالة والأمر بشأنه، فأطاع الله وصبر واستسلم لما حكم به عليه المولى، فهو الغلام الحليم، والحلم صفة لا يرزق بها إلا الأتقياء، عباد الله المقــربين والطــائعين، وعليه فشخصيته إسماعيل –عليه السلام– تجسد الطاعة والإستسلام والرضا والرضـــوخ لأمر الله.

ثم تظهر شخصية هاجر أم إسماعيل التي كان لها شأنا كبيرا فـــي حياتـــه –عليـــه السلام– قبل الحادثة وأثناء الحادثة، بالرغم من أنها لم تتعرف عن الحقيقة المخفاة عنهـــا، فهي شخصية الأم الحنون والعطوف، أم لابن واحد ووحيد لا تان له، فحبهـــا كـــان حبـــا شديدا لا يتصور، وكانت تخاف عليه من أدنى الأشياء، فما بالك إن عرفت السر المكتوب عنها، ظلت هاجر الشخصية الغافلة عما يدور حولها.

ومن الشخصيات الخيالية التي ظهرت بعد ذلك: شخصية الطـــائر الـــذي صـــادف الخليل وإسماعيل في طريقهما إلى الجبل، فأخذ يحوم فوقهما ويردد الحقيقة والسر الـــذي أخفاه الخليل عن ابنه، وعليه فهذه الشخصية جسمت الكاشف للسر والفاضـــح للمكبـــوت، وهذا ما أدخل الشك إلى قلب إسماعيل –عليه السلام– فهذه الأخيرة بالرغم مـــن كونهـــا خيالية ومن مخيال المبدع الشعبي إلا أنها قد أدت دورا فعالا شارك في إثـــراء الأحـــداث وتعميقها أكثر.

ثم تظهر شخصية أخرى من إبداع القاص الشعبي وتتجلى في شخـــصية إبلـــيس، بحيث امتزجت شخصية الطائر بشخصية، لدرجة أنهما أصبحا شخـــصية واحـــدة، ففـــي الوهلة الأولى ظهر الطائر وكشف السر المكتوم، ولما فضح أمر إبراهيم –عليه الـــسلام– ادعى هذا الأخير أن هذا الطائر هو نفسه إبليس، وأنما يقوله لا يتجاوز الكذب والإفتراء، ولهذا كانت شخصية أبليس شخصية ثانوية، غير ذات شأن ظهرت فجأة وعادت لتختفـــي فجأة مرة أخرى بدون وظيفة.

وبعدها تظهر آخر شخصية في القصة وهي شخصية الملك الذي أرسله المولى عز وجل بالهدية والفداء لمجازاة ومكافأة عبديه الطائعين على صبرهما واستسلامهما وتنفيهما لأمره دون تردد، حيث جاء الملك وهو حاملا بين يديه كبشا عظيما فداءا لروح إسماعيل –عليه السلام– وهذه الشخصية تعد رئيسية لأنها غيرت مجرى أحداث القصة تماما، حيث

حولت النهاية التعيسة إلى نهاية سعيدة واختتام وأسعد، فعوض أن يــذبح الغــلام الحلــيم "إسماعيل" ذبح الكبش ونجيا –عليهما السلام– من الإبتلاء بتفوق، عندها استراح كل منهما وشكرا الله وحمداه على نعمته وجزاءه الكريم، وعاشا في طاعته وعبادته ومن أجل خدمته حتى فارقا الحياة.

15	إبراهيم	شخصيات رئيسية
13	إسماعيل	
4	الملك الأول	شخصيات ثانوية[1]
2	الملك الثاني	
8	هاجر	
2	الطائر	
1	إبليس	شخصيات بدون شأن

ج- طبقة الشخصيات في القصة الشعبية:

إن معظم الشخصيات المكونة لقصة إسماعيل –عليه السلام– الشعبية تعد مركزية، لكن كل شخصية تختلف عن الأخرى، والشخصية الغالبة والطابعة فيها هي ذات الطــابع الديني أي الشخصية الدينية، ثم نجد الشخصية الأرستقراطية وأيضا شخصيات العامة من مخيال المبدع الشعبي، لكن الشخصية الدينية هي الطاغية التي تحتل الصدارة في الترتيب من بداية القصة إلى نهايتها، ونختص بالذكر شخصية إبراهيم الخليــل وابنــه –عليهمــا السلام– اللذين يجسدان طبقة الأنبياء كما ترمز من شخصية كل واحد منهما إلى الــسلطة الدينية بالدجة الأولى وقبل كل شيء، ويتجسد ذلك في قول القاص الموالي :

على مديرة الرسول إبراهيــم الخليل

أتاه ملاك في المنام قالوا ابنك ضحية[2]

ثم نجد شخصية سارة التي تمثل الطبقة الأرستقراطية والشخصية المتسلطة التي تم لم تمنعها مكانتها الإجتماعية من تحقيق رغبتها ورغبة الخليل معا وعند تحقيق أمنيتهمــا التي تجسدت في الغلام تظهر هاجر الخدوم والتي تمثل الطبقة الكادحة، وطبقــة العامــة، فهي الخادمة والزوجة والأم، حقا إنها رمز للتضحية والصبر والإيمان بالله، ثم نلقى

---

[1] إن الأرقام المشار إليها في الجدول هي حسب ورود أسماء الشخصيات في القصة.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

الشخصيات الخيالية التي ظهرت أثناء الأحداث والمتمثلة في الطائر والشيطان، وعليه فإن القصة الشعبية تطفو على سطحها أرقى الطبقات الإجتماعية والدينية وهم الأنبياء، رمز الوفاء والصبر والتضحية والإيمان القوي، وبالمقابل نجد الشيطان رمز الشر والخداع والنفاق "ومما يؤكد رمزية هذه الشخصيات أن المبدع الشعبي لم يكن يعنيه الحيز الذي يمتد إليه سلطانها بقدر ما كان يعنيه تقديم الرمز، ورسم نموذج بشري، قبل أي شيء آخر"[1].

رابعا: الحيز:

1- الحيز الجغرافي:

أول ما يستوقفنا في هذا الضرب من الحيز هو المكان الذي أنزل الله تعالى فيه الرؤيا على إبراهيم الخليل، وهو مكان غير مصرح به في القصة الشعبية، ومما هو متداول بين الرواة أن الخليل حينذاك كان مع ابنه وزوجته هاجر في بلاد فلسطين من أجل الدعوة إلى سبيل الله، لكن الملاحظ أن القاص الشعبي قد تجاوز ذكر المكان الحقيقي، واكتفى بذكر حدث الرؤيا وعدد الليالي التي تكررت فيها، وذلك في قوله :

أتاه ملاك في المنام قالوا ابنك ضحيه
سبقت عليه السلام وطار النوم عليه
ثلث ليالي بالكمال وهو يوقف عليه
ضحي ابنك الغزال الله اطلب عليه[2]

وعليه فإن السارد الشعبي لا يذكر فلسطين كحيز جغرافي بلفظها الصريح، لكن يشير إليها إشارة دقيقة ويذكرها بشيء من لازمتها[3] كما يمكننا ملاحظة ذلك، لأنه حتما قد وقعت الرؤيا في مكان ما والشائع عن مكان حدوثها هو فلسطين كما أن لهذا الحيز دلالته الدينية في الذاكرة الشعبية، لأنه المكان الذي زاره معظم الأنبياء، فهو المكان المقدس والحيز التاريخي العريق[4].

أما ثاني حيز جغرافي صادفنا في هذه القصة هو الجبل، أي المكان الذي ذكره القاص الشعبي ذكرا صريحا نظرا لكونه مكان تنفيذ أمر الله، لنلاحظ ذلك لقوله:

---

[1] عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة، ص 62.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[3] ينظر: عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة، ص 117.

[4] ينظر رسالة ماجستير: قصة يوسف –عليه السلام– بين النص القرآني والنص الشعبي للطالبة فاطمة الزهراء بلحجي، ص 141.

اسماعيل خاف من البلا	قالـــوا يا رســـــول
اسمع للطـــير في العلا	آش راه يـــــقـــول
لما وصـــــــلوا للجبـــل	عليــــه الســـــــــلام
قلبــــــوا بالـــحرقـــــــة	فشل عيط يا رحـــمن[1]

إذن يعد الجبل مسرح الأحداث والحيز الذي احتوى على لب وجوهر أحداث القصة فهو المكان الذي عزما فيه نبيا الله على تنفيذ أمره دون تردد ودون أن يراهما أحد، لقــد اختليا فيه ليستسلما أكثر للمولى ويخضعان لأمــره، وينفــذان طلبــه ويثبتـــان صـــدقهما ووفاءهما اللامتناهي، فهو الحيز التعيس والسعيد في الوقت نفسه كيف؟.

حيز تعيس لأن كلا منهما سيفارق الآخر إلى الأبد، لكن برضا منهما وليس رغمـــا عنهما ولا كرها ولاغصبا، بل إيمانا وطاعة وخضوعا واقتناعا، وعليه فإن الجبل جـــسد الحزن لأول وهلة، لكنه جلب السعادة الأبدية بعد ذلك، سعادة لا منتهية وتمثلت في إعتاق روح إسماعيل وتعويضها بالفداء، ذاب الحزن وتلاشى وأشرقت شمس الفـــرح والـــسعادة الروحية المهداة والمجزاة من المولى عز وجل، ويبرز ذلك جليا في قول القاص الـــشعبي الآتي:

لما جــــــا يجري عليه	مــلاك انزل قفاه
قال اعتق ما بين يديك	احكم آش وراك
قال يا إبراهيم الخليـل	اعتق إسماعيـــل[2]

فالجبل هاهنا نقطة الإرتكاز، هو مذهبة للشقاء ومجبلة للسعادة وهو المنطلق والمنتهى، فالشخصيات المركزية في هذه القصة والمتمثلة في الخليل وابنه إسماعيل اندفعت نحـــوه قصد تحقيق السعادة وإلغاء الحزن والتعاسة، حيث أصبح حيزا سعيدا كريما، "مـــن أجـــل ذلك نجد السارد العربي الشعبي يركز عليه ويتخذه نقطة ارتكاز في ممارسته للتحيـــز"[3]، وعليه فإننا نلاحظ أنه جعله حيزا ظاهرا وحيا، يموج بالحيوية ويرقى بالأحداث ويـــسمو بالأفعال.

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[3] عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة، ص 116.

2- الحيز النبوي:

وهذا الحيز –كما يدل عليه الوصف– حيز نبوي خالص يملأه الإيمان والإستسلام وطاعة المولى قبل كل شيء وفوق كل اعتبار، لقد كان إسماعيل –عليه السلام– صادقا لا يكذب، ووفيا لا يخلف وعده وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان عمله عند ربه مرضيا محمودا، فقد أرسله المولى عز وجل إلى قبائل اليمن ليدعوهم إلى وحدانية الله وعبادته، وقد نفد وعد الله وكان في نسله اليد العليا في كل ناحية أقاموا فيها ووصلوا إليها، إذن كان عليه السلام صادقا ورسولا نبيا، لكن القاص الشعبي لم يذكر حياته بعد حادثة الذبح وتوقف عندها ولم يواصل أحداث القصة كما ورد في القرآن الكريم، لذا لا يوجد إثبات عن حياة إسماعيل النبي، وعليه فقد "عاش عليه السلام مائة وسبعا وثلاثين سنة، وقيل أنه مات بفلسطين، ولكن مؤرخوا العرب قالوا : إنه مات بمكة ويظن أنه دفن بالحجر الذي يجاور البيت المحرم هو وأمه، والله تعالى أعلم"[1].

[1] على فكري: أحسن القصص، ج1، مكتبة رحاب، الجزائر، ص 57.

خامسا: الثنائية الضدية :

1- حضور الأب/غياب الأم :

رأى سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في منامه أنه يقدم على ذبح ابنه إسـماعيل ليقدمـه قربانا لله، فصدع بالأمر الصادر إليه وأطاع ربه، لقد خصه المولى بالأمر والتضحية دون سواه، ولم يعلم بها غيره بعد الله في بادئ الأمر والملاحظ هاهنـا غيـاب هـاجر، إذ أن الخليل لم يطلعها على الأمر بالرغم من أن الأم تلعب دورا أساسيا في الأسرة، لكن الخليل أبى إلا أن يظل الأمر سرا بينه وبين المولى عز وجل، ثم بعدها سرا بينـه وبـين ابنـه إسماعيل، لذا فالملاحظ أن الرؤيا لما تبادرت إلى الخليل ثلاث ليال متتاليات أصبحت أكثر تأكيدا وتعقيدا وإصرارا، فمكث الأمر في صدر الخليل لحين إعلام ابنه إسماعيل، وممـا يثبت حضور الخليل وغياب هاجر ما جاء في القصة الشعبية على لسان قاصها إذ يقول:

أتاه ملاك في المنام قالـوا ابنك ضحيـه
سبقت عليه السـلام وطـار النـوم عليه
ثلث ليالي بالكمـال وهو يوقـف عليه
ضحي ابنك الغـزال الله اطلـب عليه
دمعو سايل لا يـزول على اللي عزيز عليه[1]

وبعد لحظات من فزعه لما رأى الرؤيا في المنام، ولما تأمل الأمر وقرر الطاعـة، ظل يتخبط في الأمر وحده إلى أن قرر إعلام إسماعيل وظلت هاجر غائبة عن الميـدان، لنلاحظ ذلك في قول القاص:

خرج الرسول للفضـا تم ارفـد عينيـه
قـال الصبر للقـضـا رغمـا ننضحيه
نشف دمـوع الشقـا وارجع لاسماعيل[2]

2- حضور هاجر مع إسماعيل/غياب إبراهيم:

في حقيقة الأمر حتى وإن كان الخليل معهما جسديا، فإنه كان غائبا عنهما فكريا، ذلك لأن الرؤيا قد شغلت روحه وفكره، ومما يثبت غياب الخليل أثناء تواجد هاجر مع ابنها

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.
[2] نفس المرجع.

إسماعيل، ثلاث محطات : أولها يتمثل في : لما استفاق الخليل من منامه ذهب إليهما وجد هاجر تحضن ابنها، لنلاحظ ذلك في قول القاص الشعبي الآتي :

الصباح كيف زيق الفجر عيط لاسماعيل
ابنو فر من الحجر متاع أمو لحنين[1]

أما ثاني المحطات التي يغيب فيها الخليل في حضور إسماعيل مع أمه عندما خرج –عليه السلام– وابتعد عنهما قاصدا التفكير والتدبر في الأمر ثم عاد فوجدها في المنظر نفسه مع ابنها، وقبل وصوله ثبت حضورهما معا وغيابه، يقول القاص :

نشف ادموع الشقا وارجع لاسماعيل
لقا الزوجة معنقا اوليدها لحنين[2]

أما آخر المحطات فتبرز عندما قرر الخليل إعلام إسماعيل بأمر الله، وخاصة عندما عزم على الخروج به، فلما علمت هاجر بخروجها طلبت منه الإنتظار قاصدة تغيير ثياب إسماعيل بثياب جديدة وهاهنا يبرز جليا غيابه وحضورهما معا، ويتجلى هذا في قول القاص التالي:

قالت اصبر يا رسول انروح الناقيه
انبدلوا دوك الدلول والتوب اللي يواتيه
امو ماهيش عالما فاين رايح بيه
فرحانه بيه سالما اتهلالي فيه[3]

3- حضور الأب مع إسماعيل/غياب هاجر :

تتجلى هذه الثنائية في محطتين اثنين، تبرز الأولى عندما خرج الخليل ومعه إسماعيل قاصدا به الجبل، حيث المكان الذي يود تنفيذ أمر الله فيه، ويظهر هذا جليا في القول التالي:

ابراهيم زايد في الخلا وابنو يتبع فيه
يسمع للطير في العلا قال راح يضحيه

---

[1] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

[2] نفس المرجع.

[3] نفس المرجع.

اسماعيل خاف من البلا قالـــــوا يا رسول
اسمع للطير في الـــــعلا آش راه يقـــــول
قالوا يا بــني لعــــــــــزيز راني نسمع فيـــه
هداك ابليـــس النحيس لعـــــن الله عليه[1]

والملاحظ في القصة الشعبية أن الخليل لم يعلم ابنه حتى وهما في طريقهمـــا إلـــى الجبل، ولم يطلعه على الأمر من قبل، وبالرغم من فضح الطائر للسر إلا أنـــه أبـــى إلا تظليل إسماعيل وكبت الأمر عنه، لكن عندها فقط شك ابنه في أمر الخروج هـــذا وســـأل الخليل، عندها كذب قول الطائر ورد كلامه إلى فعل الشيطان، وهاهنا يبرز جليا غيـــاب هاجر وتواجد الخليل مع ابنه، هذه أول المحطات أما ثانيها فتظهر عندما وصـــل الخليـــل وإســـماعيل إلـــى الجبـــل، أي عنـــدما عزمـــا علـــى تنفيـــذ أمـــر الله، لقـــد قـــررا -عليهما السلام- طاعة المولى دون تردد، ومن ثمة ذبح إسماعيل وتقديمه قربا لله تعالى، يقول القاص:

لما وصلوا للــجبـــل عليـــه الســــــلام
قبلو بالحرقة فـــــشل عيط يا رحـــــمن
سلم عليه من الجبين دمعــــــو فضح بيه
قالوا يا بويا لحـــنــين ما بكـــــاك حزين
قالوا يا كبدي الغـلام الله اطلب عليـــك
أثاني ملاك في المنام اطلب نضـــحيك
قالوا الطاعة يا رســول أمــــي اعـــــلمها
لاش يا بويا ما تقـــول نشــــبــــع منهـــا
عنق ابنو بلغـــــــــزر مـــــاني عالمــــها[2]

وعليه نستنتج أن الخليل وإسماعيل -عليهما السلام- عزما علـــى تنفيـــذ وتطبيـــق الرؤيا الموحاة من الله تعالى دون علم هاجر ودون حضورها، ونلمس ذلـــك أكثـــر فـــي البيتين ما قبل الأخيرين، وكما يبرز غيابها أيضا عند الذبح أي في اللحظة التي شرع فيها نبيا الله التطبيق، يقول القاص:

اركع باسو من الجبين رفـــدوا وقبل بيه
ارمى يدو على السكين رايح يضحيـــــــه
قالـــــو ارفـــد الكموم وطم اجلالـــــك
لتطــــرش بالدمــــــوم أمي تفطن بيـــك

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

لما جا يجـــــري عليـه ملاك انزل قفـــاه[1]

4- بكاء الخليل/فرحة هاجر:

ظلت الرؤيا التي رآها الخليل في منامه سرا بينه وبين نفسه ولم يدري بها أحد سواه، –قبل إعلام إسماعيل– وباتت من الأسرار التي لابد من إخفاءها، لذا حز في نفسه فــراق ابنه والأكثر من ذلك ذبحه بنفسه، لقد صدق الخليل الرؤيا، وأطاع المــولى لكنــه بكــى لدرجة أن دمعه لم ينتهي ولم يجف، ومما يدل على مدى حزنه على فــراق ابنــه وعــدم عصيان المولى في الوقت الذي كانت فيه الزوجة هاجر فرحة بابنها إسماعيل معنقة إياه، وسعيدة لوجوده بجانبها، لنرى قول القاص الشعبي في هذا الصدد:

بالرقيا صدق الرسول قال الطاعــــــــة ليه
دمعو سايل لا يـــزول وعلى اللي عزيز عليه

ثم في قوله:

خرج الرسول للفضــــا ثم ارفــــد عينيه
قال اصبـــر للقضـــــا رغما نضحـــــيه
نشـــف دموع الشقـــا وارجع لاسماعيل[2]

ويبرز حزن الخليل على مفارقة ابنه الوحيد في الوقت الذي تبدو فيه زوجة هــاجر سعيدة، والفرحة تغمر قلبها وهي تمرح وتلعب مع ابنها إسماعيل مــرة ثانيــة، إذ يقــول القاص في هذا الصدد ما يلي :

نشف دموع الشقــــا وارجع لاسماعيل
لقا الزوجة معنقــــــا اوليدها لحنـــين
ارمى يدو على الغلام واعطى روحو ليه
قال للزوجة بالبســـام انروح نحوس بيه[3]

ومما يثبت غفلتها وعدم درايتها بسر خروجهما الهيئة التي بدت فيهــا حينــذاك أي عند خروجهما، حيث بدت سعيدة وفرحة ومبتهجة، دليل على عدم علمها بــالأمر، يقــول القاص:

خرج وسار من الخيام وامو تبع فيــه
تبعتو وتزيد في السلام لوليدها لفريد[1]

---

[1] نفس المرجع.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[3] نفس المرجع.

ويظهر ذلك جليا وبارزا في البيت الآتي:

فرحـــانة بيـــه سالمـــــا   اتهـــلالـــي فيـــه[2]

فالمستنتج من هذا هو أن علم الخليل بالأمر جعل منه إنسانا حزينا باكيا، وعدم درايـه هاجر به جعلها سعيدة لا مبالية، وهنا يبرز التضاد.

5- إسماعيل الذبيح/إسماعيل النبي:

عاش النبي إسماعيل فترة من الشقاء من بينها حادثة الذبح لكن المـولى عــز وجــل وصفه بالغلام الحليم، والحلم صفة من صفات الأنبياء، وهذا أكبر دليل عل عظـم شـأنه وسمو شخصه في المستقبل، وفي قصتنا الشعبية التي بين أيدينا ما يدل على كونه ذبيحـا فقط وإشارة خفيفة لكونه نبيا، ذلك لأن القاص الشعبي لم يتناول أحـداث حياتـه كاملـة، فاقتصر على حادثة الذبح فقط أما إسماعيل فيتجلى وصفه وذكره كما يلي :

إبراهيم زايد في الخـلا   وابنو يتبــــع فيه
يسمع للطير في العـــلا   قال راح يضحـيه
إسماعيل خاف من البلا   قالوا يـــا رسول

ويتوالى وصفه ووصف حادثة الذبح إلى أن يقول:

أتاني ملاك في المنام   اطلب انضحيك
قالوا الطاعة يا رسـول   امى اعلـــــمها

إلى أن يقول:

اركع باسو من الجبـين   رفــدوا وقبــل بيــه
ارمى يدو على السكين   رايـــــح يضحيــه
لما جا يــجري عليـــه   ملاك انــزل قفـــاه[3]

أما فيما يخص إسماعيل النبي كما ذكرنا فقد أشار القاص الشعبي إليه إشارة عابرة توحي بأن المولى عتقه من الذبح لأنه سوف يكون ذو شأن عظيم فيما بعد، ونقصد النبوة، إذ يقول:

لـــما جا يجري عليـــــه   مـلاك انزل قفاه

---

[1] نفس المرجع.

[2] نفس المرجع.

[3] عبد الكريم دالي: قصة شعبية

قال اعتق ما بين يديك   احكم آش وراك
قال يا ابراهيم الخليــل   اعتق إسمــاعيل
ما كان مثلـــك قليـــــل   من الصــــــادقين[1]

إنه حب الله لأنبيائه الصادقين، الطائعين، لأنهما صدقا وحيه فـصدقهما وجزاهمـا خير الجزاء، مصداقا لقوله تعالى: [**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابْ**][2].

سادسا: بنية الزمان:

أ - الزمان الواقعي:

1- إبراهيم النبي:

لقد عاش إبراهيم –عليه السلام– فترة من الزمن مع زوجته سارة حيث كانت عاقرا لا تلد، وكان ملك مصر قد وهبها جارية إسمها هاجر فوهبتها للخليل، فولدت له إســماعيل، وبعدها عاش –عليه السلام– زمنا واقعيا مرا، إذ حرمته سارة من ابنه الوحيد، حيث أدت بها غيرتها العمياء إلى تفريقهما[3]، وقبل هذا كله كان شمل العائلة متماسكا ومترابطا، حيث كان الخليل يعيش في كنف أسرته وفي أجل طاعة المولى، عيشا هنيئـا ملـؤه الـسعادة والفرح والهناء، وفي ليلة من الليالي رأى الخليل الرؤيا التي غيرت مجرى حياته، يقـول القاص:

على مديرة الرســول   ابراهيـــم الخليل
أتاه ملاك في المنــام   قالوا ابنك ضحيه
سبقت عليه الســـــلام   وطار النـــوم عليه
ثلث ليالي بالكمـــال   وهو يوقـــف عليه
ضحي ابنـــك الغزال   الله اطلـــب عليه
بالرؤيا صدق الرســول   قال الطاعـــــة ليه[4]

إنه أمر الله، ولابد من طاعته، وبالتالي تنفيذه، وكان –عليه السلام– نعم المـأمور، لقد اختاره المولى واصطفاه دون غيره من الأنبياء ليتمحن نبوته وصدقه وطاعته، لقد فاز ونجح في الإمتحان، كما يبرز لنا جليا تحديد القاص الشعبي لزمن الرؤيا، وصرح بعـدد تكرارها على الخليل في منامه وذلك في قوله :

---

[1] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

[2] سورة الزمر: الآية 10.

[3] كان هذا بعد كل الأحداث التي جاءت في القصة الشعبية، أي بعد زمن من حدوث حادثة الذبح.

[4] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

ثلث ليـــالي بالكمـــال   وهـــو يوقـــف عليـــه[1]

2- **إسماعيل الغلام:**

هو زمن قضاه إسماعيل -عليه السلام- في رحاب عطف وحنان والدته التي لم تتجب سواه، زمن عمه الدلال والرعاية التامة اللامنتهية ملؤه الحب والسعادة، ومما يثبت ذلـــك المنظر والمشهد الرائع الذي صوره القاص الشعبي عندما دخل عليهما الخليل إذ يقول:

لقـــا الـــزوجة معنقـــا   اوليـــدها لحنين
ارمى يدو على الغلام   واعطى روحو ليه[2]

لقد كان الغلام الزكي الذي أشرقت به حياته، وكان عونا لأبيه على تحمل مشاق الحياة وصعابها، وأكبر دليل على حلمه وطاعته لوالده بعد ربه موقفه من أمر الله، إذ لم يتـــوانى ولو لحظة، بل أطاع وأمر الخليل بالتنفيذ دون تردد، لقد قضى زمنا واقعيا كريما، ملـــؤه الطاعة والإيمان والإستسلام.

3- **هاجر: الزوجة والأم الخدوم :**

يطفو على سطح حياة هاجر، ذلك الزمن المر الذي عاشته مع ضرتها في بادئ الأمر، من غيرة وحقد وكره[3]، لكن سرعان ما يتحول المر إلى هناء واستقرار، لكن ظـــل زمنـــا عصيبا، حيث انتقلت من جو القصور والخدمة اللامتعبة إلى جو الظلمة الذي سادته غيرة وحقد الضرة، لكن هذا لم يدم طويلا، حيث أصبحت تغمر حياتها السعادة والهـــدوء، بيـــد أنها كانت غافلة عن الأمر والسر الذي أخفاه عنها الخليل، فبقيت تلك الزوجـــة الخـــدوم والمطيعة، ويثبت ذلك أثناء خروج إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- حيث عاشت فـــي هذه الفترة بالذات زمنا هادئا لا تسوده أي مرارة على عكس الخليل الذي كان يتخبط فـــي الحزن، لنرى ماذا تقول له:

قالت اصبر يـــا رســول   انـــروح الناقيـــــه
نبدلو دوك الدلـــــول   والتوب اللي يواتيه
أمو ماهيش عالـــــما   فايـــن رايـــــح بيه
فرحانه بيه سالـــــما   اتـــهـــلالي فيـــــه
اخرج وسار من الخيام   وامـــو تتـــبـــع فيه

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] نفس المرجع.

[3] عدم ذكر القاص الشعبي لهذا الحدث لكنه ثابت القصص القرآني.

تبعتوا وتزيد في السلام   لوليـــدهـــــا لفريد[1]

4- **<u>إسماعيل والفداء:</u>**

تجسد زمن الفداء في بضع ساعات، إن لم نقل دقائق، وهو ثان الأزمنة التي صادفت إسماعيل –عليه السلام- في حياته فبعد الحياة والهناء جاء دور الموت والفناء ومفارقة الأهل والأحباب، حقا إنه زمن أمر من الأول والأمر منه أن والده من سينتهي حياته وينفذ بيديه أمر الله، يبدو لنا هذا الزمن من حياته –عليه السلام- مرا، لكنه لم يكن كذلك بالنسبة إليه، لقد كان أحلى زمن عاشه لأنه ينفذ أمر الله، رلقد إختاره المولى دون سواه، وهذا أكبر دليل على حب الله له، أي شيء أحلى من التضحية في سبيل الله، وعلى هذا فقد وصف لنا القاص الشعبي هذا الزمن بالتدقيق، وجسد لنا موقف كل من الخليل والنبي إسماعيل، إذ يقول:

سلم عليـــه من الجبين   دمعـــو فضـــح بيـــه
قالـــوا يا بويـــا لحنين   ما بكـــــاك حزيـــن
قالوا يا كبدي الغـــلام   الله اطلـــــب عليك
أثاني ملاك في المنـــام   اطلب نضـــــــحيك
قالوا الطاعة يا رســول   أمـــــــــي اعـــــلمها[2]

ويواصل تصوير الموقف حتى يصل إلى وصف موقف الفداء وعتق إسماعيل من الذبح:

اركـــع باسو من الجبين   رفـــدوا وقبـــل بيـــه
ارمى يدو وعلى السكين   رايـــــــــح يضحيـــه
قالو ارفـــد الكمــــوم   وطـــــم اجـــــلالك
لتطـــــرش بالـــدمـــوم   أمـــــــي تفطن بيـــك
لما جـــــا يـــجري عليه   مــــــلاك انزل قفـــاه
قال اعتـــق مـا بني يديك   احـــكــــــم آش وراك
قال يا ابراهيـــــم الخليل   اعتـــــــــق إسماعيـــل[3]

وهكذا أرسل الله الفدية والعوض عن روح إسماعيل، لأنه كان صادقا مع الله وكان المولى أصدق منه وجزاه خيرا الجزاء.

ب- الزمان النفسي:

<u>1- دلالة الشقاء:</u>

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] نفس المرجع.

[3] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

لقد جسد لنا القاص الشعبي الحياة المرة والعصيبة التي عاشها الخليل، وبالتحديد لما نزلت عليه الرؤيا، حيث عانى الأمرين معا أولهما فراق ابنه وثانيهما ذبحه بيديه، وعليه فإن أولى دلالات الشقاء في حياته –عليه السلام– هي الرؤيا حيث تسببت في حزنه وبكاءه الشد يدين:

أتـــاه ملاك في المنام	قالـوا ابنــك ضحيـــه
سبقـــت عليـــه السلام	وطـــار النــــوم عليه
ثلث ليالي بالكمـــال	وهـــو يوقـــف عليه
ضحـــي ابنك الغـزال	الله اطــــــلب عليه
بالرؤيا صدق الرســول	قـال الطـــاعـــة ليه
دمعو سايل لا يــــزول	على اللي عزيز عليه[1]

ونجد دلالة الشقاء تتجسد أيضا في قوله:

خرج الرســـول للفضـــا	تــم رفـــد عينيـــه
قـــال الصـــبـــر للقضـــا	رغـــمـــــا نضحيـــه
نشـــف دمـــوع الشقـــا	وارجع لاسماعيل[2]

أما ثان دلالات الشقاء فتمثلت في تنفيذ الرؤيا وطاعة المولى ففي الحالة الأولى عاش الخليل حالة الشقاء بمفرده، أما في هذه الحالة سوف يعيشها معه ابنه إسماعيل، يقول القاص:

إبراهيم زايـد في الـخلا	وابنــــو يتبع فيه
يسمـــــع للطـير في العلا	قال راح يضحيــه
إسماعيل خـــاف من البلا	قالوا يا رســــول
اسمع للطـــــير في العلا	آش راه يقـــــول[3]

وتبرز أكثر حالة الشقاء عند إعلام إسماعيل وعند تنفيذ الأمر أي في لحظة الذبح، إذ يقول القاص:

قالوا يا كبدي الغـــلام	الله اطلب عليك
أتاني ملاك في المنـام	اطلب انضحيـــك
قالوا الطاعة يا رســـول	أمــــــي اعلمـــها
لاش يا بويا ما تقـــول	نشبـــع منـــــــها
عنــــق ابنــو بالغـــزر	مانــــــــي عالمها

---

[1] نفس المرجع.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[3] نفس المرجع.

اركع باسو من الجبين رفـــد قبـــــل بيه
ارمى يدو على السكين رايـــــــح يضحيه[1]

ويتابع القاص وصف حالة الشقاء حتى نهاية الحادثة التي انتهت بالسعادة والبهجة، وحقيقة تبدو أشد قسوة وبؤسا وجزنا لكن كل منهما تغاطى عن هذا كله، ولم يريا أمامهما سوى طاعة المولى والرضا بحكمه عز وجل بكل خضوع واستسلام.

[1] نفس المرجع.

2- دلالة السعادة:

*** الأسرة:**

نشأ إسماعيل –عليه السلام- في كنف أسرته الدافئة والمكونة من الخليل وأمه هاجر الحنون العظيمة في الوقت نفسه، لقد عاش –عليه السلام- حياة سعيدة وهنيئة يغمرها الحب والحنان والإستقرار، ومما يؤكد هذا قول القاص الشعبي الآتي:

لقـــا الزوجــــــة معنقـــــــا أوليــــدها لحنـــين[1]

وفي موضع آخر دال على السعادة يقول:

فـــرحانه بيـــه سالـــــمـــــــا اتهــــــلالي فيـــــه[2]

ووصف القاص الشعبي لهذا الحدث أكبر دليل على السعادة والهناء اللذان كانا يملآن حياة النبي إسماعيل في صغره.

*** الفداء:**

استسلم كل من الخليل وابنه إسماعيل –عليهما السلام- لأمر الله وخضعا له، فصرع إبراهيم ولده إسماعيل على وجهه ليذبحه بكل إيمان وصدق وطاعة، لكن المولى جزاهما وكافأهما عن صدقهما وطاعتهما بفداء عظيم، حيث نودي –عليه السلام- فالتفت وراءه، فإذا بكبش عظيم يهدى إليه عوضا وفداء عن روح ابنه الوحيد، فأخذه وصرعه وبطحه ثم كبر وذبحه، ثم أخلى سبيل ابنه، وأكب مقبلا على ابنه يحضنه ويقبله والفرحة لا تسعه والسعادة تغمره من شدة الفرح والإبتهاج، لقد فداه المولى بكبش عظيم وأنقد إسماعيل من الذبح وأبقى له الثناء الحسن في الآخرة، وتلك منة لعبديه الصادقين وهذا ما يجسده قول القاص الشعبي التالي:

اركع باسوا من الجبين رفـــــدوا قبــــل بيـــــه
ارمى يدو على السكين رايـــــح يضحيـــــه[3]

إلى أن يقول:

لمـــا جا يـــــجري عليه مـلاك انـــزل قفـــاه
قال اعتق ما بين يديـك احكـــــم آش وراك

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية

[2] نفس المرجع.

[3] نفس المرجع.

قال با ابراهيـــم الخليل　　　　　اعتـــق اسماعيــــــل
ما كان مثـــلــــك قليــــــل　　　　　مـــن الصــــادقــــــين[1]

إنه بر عظيم، وتوفيق من الله كبير، وإيمان يزعزع الجبال من الوالد وولده، تظهر فيها العبودية والخضوع لله على أكمل وجه وصورة، الأب يؤمر فيسارع إلى تنفيذ أمر الله، والولد يستشار فيلبي طائعا مستسما لحكم الله إلى أقرب السبل.

وعليه فقد عرف المولى من هذه النفس الزكية الطاهرة الصدق والطاعة والإستسلام فعفاها من التضحيات والآلام، واحتسبها لها وفاء وأداء، وقبل منها ففداها، وأكرمها كما أكرم أباها، وهذا جزاء الإيمان والصدق والخضوع.

[1] عبد الكريم دالي: (أنظر الملحق) قصة شعبية.

سابعا: تحليل النص تحليلا أدبيا.

يفتتح الشاعر نصه الشعري بالاستغفار الذي تمثل في فعل مضارع في صنعه الجمع، ثم يدرج قوله "قبل ما نقول"، هذا يعني أنه يستغفر قبل أن ينظم وينسج القصة الشعرية نظرا لدهشته من أحداثها ووقائعها، فإن أول نلاحظه حول مضمون النص الشعري أن القيم الأخلاقية السامية تتزاحم فيه بكثافة، بحيث أن البيئة الإسلامية تبرز هاهنا في أجمل وأحلى صورها وأبهى حللها، وأحداث القصة أكبر دليل على ذلك، ومما زادها جمالا وبهاءا تضحية الأب بابنه في سبيل الله، ليس لشيء إلا لوجهه تعالى وتقربا منه وابتغاء مرضاته.

وأول حدث يلج به الشاعر إلى غمار الأحداث هو الرؤيا حيث يقول:

أتاه مـــلاك في المنــــام　　　قالــوا ابنــك ضحيـــه
سبقت عليـــــــه السـلام　　　وطـــــــار النوم عليــه
ثلث ليـــالي بالكمـــــال　　　وهـــو يـــوقف عليـــه
ضحــــي ابنـــك الغــزال　　　الله اطـــلـــب عليـــه[1]

والعلاقة في هذه الأبيات يتقاسمها طرفان أحدهما قاصد والثاني مقصود، بحيث يمثل الأول في شخصية الخليل، بينما يتجسد الثاني في المولى عز وجل، وكلمة "ضحّي" هاهنا فعل أمر جاءت في صيغة الفرض والأمر والفعل الفوري الذي لا رجعة فيه، وبذلك فقد أصدر المولى عز وجل أمرا وعلى الخليل تنفيذه، والقرين الدلالي هاهنا هو التضحية والتنفيذ وتأتي العلاقة في الشكل الآتي:

القاصد/المقصود

العماد "**ضحي**" ⇐ القرين الدلالي

الله تعالى/إبراهيم　　　* **التضحية والتنفيذ.**

والعلاقة نفسها تبرز بين الخليل وشخصية الملك المرسول من طرف المولى، والعماد تمثل في "أتاه" و"قالوا ابنك ضحيه" حيث أخذ بعدا دلاليا واضحا، والقرين الدلالي

---

[1] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

تمثل في "تبليغ الرسالة"، أي أمر الخليل برسالة المولى والمتمثلة في التضحية بابنه الوحيد اسماعيل وذبحه إرضاءا لأمره تعالى وتمكن هذه العلاقة فيما يلي:

القاصد/المقصود

العماد "**أتاه-ابنك ضحيه**" ⇐القرين الدلالي⇐"تبليغ الرسالة"

الملك/الخليل إبراهيم

ثم تبرز علاقة الذات مع ذاتها وتتمثل في الأبيات الآتية، حيث يقول الشاعر :

خرج الرسول للفضـــا تم ارفـــد عينيـــه
قال الصـــبر للقضـــــا رغمـــــا ننضحيه
نشف دمـــوع الشقـــا وارجع لاسماعيل[1]

وتتجسد العلاقة فيما يلي:

الفاعل/ذات الفاعل]←الهدف : **المناجاة** ← القرين الدلالي (الشقاء في الدنيا والفوز في الآخرة).

وقد جاء هذا المقطع تمهيدا لأحداث القصة الموالية، بحيث جسد لنا هذا الأخير ملامح شخصية الخليل وهو يناجي ربه، مبرزا الصفة والهيئة التي كان يبدو فيها، والعلاقة هاهنا لا تعدو أن تتجاوز الذات مع ذاتها وعليه تكون كالآتي :

القاصد/المقصود

العماد "**البكاء**"⇐القرين الدلالي⇐ (الرضا بالقضاء والقدر)[2]

الخليل/ذاته

وهنا يبرز جليا بكاء الخليل على فراق ابنه مع الرضا والإقتناع بقضاء الله وقدره، فمجرد التفكير في فعل (**الذبح**) يستدعي البكاء والحزن، والموقف يتطلب الحزم والصبر، وهذا أكبر دليل على سمو هذه الروح المفدى بها وعظمة شخصية الخليل -عليه السلام- كما أنها في "الوقت نفسه دلالة على انحلال ذات الشاعر في ذات المجني عليه في توحدها الوجداني"[3].

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، الطبعة الأولى، 7: 1993، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية وهران، ص37.

[3] المرجع نفسه.

أما في المقطع الموالي، حيث تتنوع العلاقات إذ يقول الشاعر:

بالرقيـــا صدق الرسول قال الطاعـــة ليـــه
دمعـــــــو سايل لا يزول على اللي عزيز عليه
الصباح كيف زيق الفجر عيــــط لاسمـــاعيل[1]

وتبرز العلاقة الأولى في البيتين الأول والثاني، إذ يصرح الخليل –عليه السلام– عما يجول في نفسه، ومن ثمة فهو يحاور نفسه، وعليه فإن العلاقة ههنا لا تتعدى علاقة الذات مع ذاتها وتتمثل فيما يلي :

الخليل/ ذاته

العماد "**البكاء**" ⇐ القرين الدلالي⇐ ***الرضا بأمر الله**

القاصد /المقصود

ثم نجد العلاقة الثانية، حيث يتقاسمها الطرفان يتمثل الأول في شخصية الخليل والثاني في ابنه إسماعيل، حيث ود الخليل توديع وحيده والإرتواء منه قبل ذبحه والتضحية به، والعماد في هذه العلاقة هو الفعل "**عيط**" في حين يتمثل القرين الدلالي في **المراوغة والتحايل**، وعليه تكون العلاقة الثانية كالآتي:

الخليل/إسماعيل

العماد "**عيط**" ⇐ القرين الدلالي ⇐ "المراوغة"

القاصد/المقصود

وهذا المقطع تمهيد لم يليه وتتجسد من خلاله صورة الخليل وملامحه وصفاته كما تبرز جليا سذاجة ابنه إسماعيل ومدى طاعته لوالده، وتتضح كل من الطرفين، فالشاعر ههنا يرفع من قيمة كل منهما، ويسمو بهما إلى **الثريا** وكل ذلك حسب الإيمان وطاعة المولى.

نشف دمـــــوع الشقا وارجـــع اسماعيـــل
لقا الـــــزوجـة معنقـا وليــــــدها لحنين
ارمى يدو على الغلام واعطى روحــــو ليه
قال للزوجـة بالبســـام انروح نحوس بيـــه[2]

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.
[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

هذا المقطع عبارة عن تسلسل إخباري يرصد لنا صفات السمو والإيمان والقوة والصبر على الإبتلاء والقدرة على التضحية بأغلى شيء يملكه في مقابل رضا المولى، وهذه السمات كلها تحيلنا إلى شخصية الخليل إبراهيم، والعلاقة ههنا تتجلى بين الذات والآخر، حيث يتجسد الأول في شخصية إبراهيم والثاني في شخصية هاجر زوجه، والعماد في هذا المقطع هو **نحوس بيه**، أما القرين الدلالي فهو: **المخادعة والإستدراج** وريتمثل فيما يلي:

الخليل/هاجر

العماد "**نحوس بيه**" ⇐ القرين الدلالي ⇐

المخادعة والإستدراج

القاصد/المقصود

كما نستشف علاقة الذات بالآخر في قول الشاعر:

ابراهيم زايـــد في الـــخــــلا   وابنـــــو يتبــــع فيــــه
يسمــــــع للطير في الــــــعلا   قـــــال راح يضحيـــــه[1]

وفي هذين البيتين تبرز علاقة الذات بالآخر، ويشكل طرفاها كل من إسماعيل – عليه السلام– وشخصية الطائر المُبْدَع من طرف المخيال الشعبي، حيث أنه يعتبر الكاشف والفاضح للمستور، وذلك عندما فضح أمر ذبح الخليل لابنه إسماعيل، والعماد في هذه العلاقة هو لفظ "**رايح يضحيه**" أما القرين الدلالي فتمثل في "الكشف عن الحقيقة وفضح السر المكبوت" وتتبلور كالآتي:

الطائر/إسماعيل

العماد "**رايح يضحيه**" ⇐ القرين الدلالي ⇐

"**الكشف عن الحقيقة**"

القاصد/المقصود

والملاحظ على هذا النص أنه احتوى على العلاقتين معا، أي علاقة الذات مع الآخر وعلاقة الذات مع ذاتها، ونستشف أيضا علاقة الخلي بابنه إسماعيل في موقعة الذبح، إذ يقول:

---

[1] نفس المرجع.

لما وصلـــوا للجبـل عـــــليــه الســلام
قلبو بالحــرقة فشـــل عيــط يــا رحمــن
سلم عليه من الجبين دمعـــــو فضح بيـــه

إلى أن يقول:

قالوا ارفد الكموم وطـــم جلالـــك
لتطـــرش بالدموم أمي تفطن بيــك[1]

لقد تنوعت الأعمدة والقرائن الدلالية في هذه الأبيات الشعرية حيث نجد العماد الأول تمثل في الألفاظ التالية:

"**فشل دمعو، حزين**..." والقرين الدلالي هنا هو "الحزن على فراق الإبن الوحيد" ثم يتوالى العماد الثاني إذ يكن في الألفاظ التالية:

الله اطلب عليك، اطلب نضحيك" والقرين الدلالي الثاني هو "الطاعة لأمر المولى عز وجل"، أما ثالث الأعمدة فتمثل في لفظ **الطاعة** مما دل على القرين الدلالي الآتي: "الرضا بقضاء الله وقدره"، ورابع الأعمدة تمثل في لفظ "**عنق، الصبر، قبل بيه، السكين، رايح يضحيه**" وغيرها من الألفاظ الدالة على حدث الذبح، والقرين الدلالي هو "التضحية وتنفيذ أمر الله دون توان ولا تردد" وتأتي هذه العلاقة كما يلي:

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

القاصد/المقصود **إبراهيم الخليل/إسماعيل**	⇐ **العماد الأول** ⇐"فشل، دمعو، حزين"⇐ **القرين الدلالي** ⇐الحزن على فراق الإبن الوحيد. ⇐ **العماد الثاني** ⇐"الله اطلب عليك، اطلب نضحيك"⇐ **القرين الدلالي** ⇐الطاعة والتنفيذ لأمر المولى عز وجل. ⇐**العماد الثالث** ⇐"الطاعة ليه"⇐ **القرين الدلالي**⇐الرضا بقضاء الله وقدره. ⇐**العماد الرابع**⇐ "عنّق، الصبر، قبل بيه، السكين، رايح يضحيه"⇐**القرين الدلالي** ⇐التضحية وتنفيذ أمر الله دون تردد.

وتتوالى العلاقات واحدة تلو الأخرى في هذا النص الشعري، وفيما يلي علاقة أخرى يجسدها كل من الخليل إبراهيم والملك المرسل من طرف المولى عز وجل ونحلاظ ذلك في قول الشاعر:

لما جـــا يجري عليــــــه	مـــلاك انــزل قفاه
قال اعتق ما بين يديك	احكـــم آش وراك
قال يا ابراهيم الخليــل	اعتـــــق اسماعيل
ما كان مثلك قلـــــــيل	من الصــــــــادقين[1]

فالمولى عز وجل أرسل الملك قصد استبطاء الخليل وإيقافه عن ذبح ابنه وفي الوقت نفسه إهدائه الفدية والذبح العظيم عوضا عن نفس إسماعيل الزكية الطاهرة، بحيث وصل الملك في اللحظة الحامسة ويبرز ذلك جليا في قول الشاعر "**لما جا يجري عليه، ملك انزل قفاه**" أي في اللحظة التي عزم فيها الخليل ذبح ابنه نزل الملك واستوقفه مسلما إياه الهبة والهدية المهداة من طرف الله عز وجل ومكافأة لهما على طاعتهما وعظمة

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

إيمنهما بالله، وعليه فإن العماد في هذه العلاقة تجسد في "**اعتق اسماعيل**" والقرين الدلالي تمثل في "مجازاة ومكافأة المولى لعبديه على طاعتهما وصبرهما على الإبتلاء" وتمثل في الشكل الآتي :

القاصد/المقصود

العماد ⇐ "**اعتق اسماعيل** " ⇐القرين الدلالي⇐

مكافأة المولى لعبديه على الطاعة والصبر على الإبتلاء.

الملك/الخليل

*** <u>التركيب النحوي</u>:**

افتتح الشاعر قصيدته بجملة فعلية تمثلت في: "**نستغفر قبل ما نقول**" معبرا عن مدى دهشته وتعجبه من فعلة الخليل المأمور بذبح ابنه، والملاحظ أن هذا النص تضفوا على سطحه وتغزوه الجمل الفعلية نذكر منها: "أتاه ملاك في المنام، قالو ابنك ضحيه، سبقت عليه السلام، طار النوم عليه، ضحي ابنك الغزال، قال الطاعة ليك، عيط لاسماعيل، انشف دموع الشقا...".

وغيرها من الجمل الفعلية التي تكاد تسيطر على هذا النص الشعري في حين نستشف قلة ظهور وتواجد الجمل الإسمية، ونذكر منها: "الله اطلب عليه، اصباح كيف زيق الفجر، ابراهيم زايد في الخلا، اسماعيل خاف من البلا، الله ياتينا الصبر..." وكلها تفيذ التقرير والإثاب، وعليه فإن أحداث النص احتوت على حركة انفعالية ملؤها الحرقة واللوعة والألم، مما جعل الأحداث الأخيرة أكثر شوقا وتأثيرا، ومن الملاحظ على هذا النص أيضا أن "الحث تصنعه ثنائية القاصد/المقصود على مستوى البنية السطحية"[1]. كما أن هناك بعض الأحداث "تحتاج إلى مدلولات نستنبطها من خلال استقراء مجموع العلاقات المتحققة إما في علاقة الذات مع الآخر وإما في علاقة الذات مع نفسها..."[2]، وعليه فإن الشاعر لم يعايش هذه الأحداث بل هو يتفاعل معها، كما أنه أضاف إليها ذلك الطابع الشعبي المتميز، مما زادها دلالة وإحاءا.

---

[1]عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، ص 44.

[2] عبد الكريم دالي : قصة شعبية.

* **التركيب البلاغي:**

يتراوح أسلوب القصيدة بين الخبر والإنشاء، فالأسلوب الخبري كان غرضه البلاغي تقرير الوقائع والأحداث، أما الإنشائي فقد جاء وبرز في النص بشتى أنواعه ونذكر منها النداء والأمر والنهي، وعليه فإن أسلوب النص سهل وواضح، ولغته عامية وفي الوقت نفسه فصيحة، صحيح التركيب، يمتاز بانتقاء الألفاظ والعبارات الملائمة للمعنى، الكثيرة الإيحاء والتصوير ونلمس ذلك مثلا في قوله :

اركع باسو من الجبين	رفدو وقبل بيه
ارمى يدو على السكين	رايح يضحيـــه[1]

فكل كلمة لها إحاؤها ودلالتها الخاصة، حيث تمركز كل لفظ في مكانه المناسب، وتشعر أثناء قراءة النص بنغم خفي ورنان، جاء نتيجة اختيار وانتقاء الألفاظ ذات النغم الموسيقي القوي وحسن تجاورها في التراكيب، حيث تناسب هذا الأخير مع إحساس الشاعر وجو الموضوع، ويزداد النغم وضوحا وعذوبة بحشد النعوت والإضافات والمعطوفات المتتابعة، ونذكر من النعوت: "هذا ابليس النحيس، ضحي ابنك الغزال" وغيرها، ومن الإضافات والمعطوفات نذكر:

تبعتوا و تزيد في السلام،	سبقت عليه الســـــلام	وطار النوم عليـــه
	ثلث ليالي بالتمـــــام	وهو يوقف عليـــه
وأيضا:	نشف دموع الشقــــــا	وارجع لاسماعيل
وكذلك قوله:	ارمى يدو على الغلام	واعطا روحو ليـــه[2]

وغيرها من المعطوفات، فهي تراكيب ذات نغم خاص يزين ويجمل الشعر الشعبي إلى جانب الموسيقى الداخلية، كما أن في النص أساليب بيانية كثيرة، اتخذ منها الشاعر وسيلة للتعبير عن افكاره وتوضيحها، أما صور القصيدة فهي ذات قوي في المعنى وهي تدل على سعة الخيال الذي تنعكس فيه العاطفة ومن ذلك التشبيه في قوله: "**ضحي ابنك الغزال**"، حيث شبه ابنه إسماعيل بـــ"الغزال" وهو تشبيه بليغ يوحي بمدى حب الخليل لابنه، ودليل على درجة معزة الإبن عند أبيه، وكذلك قوله: "**هذاك ابليس النحيس**"، حيث شبه الطائر بإبليس نظرا للفعلة التي قام بها، وفي الوقت نفسه تعتبر هذه العبارة كناية عن

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[2] نفس المرجع.

الأفعال السيئة والصفات الأسوء، فالطائر ههنا قام بما يقوم به إبليس لدى شبهه الشاعر بالشيطان.

ومن الصور البيانية كذلك الإستعارة والواردة "**ثم رفد عينيه**"، حيث شبه العيون بالشيء الذي يحمل فحذف المشبه به وأشار إليه بأحد من لوازمه هو لفظ "**ارفد**" أي حمل، فهي استعارة مكنية فيها تجسيم لردة فعل الخليل وحالته بعد بلوغه الرسالة الموحاة من المولى عز وجل، ومن الإستعارة ايضا قوله : "**اعطى روحو ليه**" حيث شبه الروح بالهدية أي شبه المحسوس بالملموس، فحذف المشبه به وأحال عليه بقرينه من قرائنه وهي : "**أعطى**" وهي الأخرى استعارة مكنية، ومن الصور البيانية أيضا **الكناية** في قوله: "**قلبو بالحرقة فشل**" وهي كناية عن صبر الخليل على ما أمره به المولى عز وجل وعن معاناته وألمه الذي لا نهاية له ولا حل سوى الطاعة والتنفيذ.

وعاطفة الشاعر في هذا النص هي عاطفة فخر واعتزاز وعطف وإشفاق في الوقت نفسه، وتعلو هذه الأخيرة صبغة حزينة هادئة الإحساس، استطاع نقلها إلى القارئ الذي لا يملك إلا أن يتجاوب معها، حزينا عليه وقد عكست الصورة الفنية التي تتخلل النص تلك العواطف الجياشة الصادقة، وعليه فإن الشاعر ههنا متعاطف مع الخليل وابنه، حيث نجده يحزن لما أصابهما الإبتلاء من المولى ويشاركهما المعانات، وهذا أكبر دليل على صدق عاطفته المنبعثة من قلب مؤمن بقضاء الله وقدره.

أما فيما يخص البديع فإن الشاعر لم يحفل بزخرفه كثيرا لأن اهتمامه انصب على المعنى وجودة التعبير والصورة، ومن المحسنات البديعية نجد الطباق في البيت الأول : (ليل،نهار) والجناس الناقص في قوله: (إبليس، النحيس)، وأيضا في قوله: (لحنين، لحزين) وأيضا الطباق في قوله: (اعتق، احكم)، وهذا أكبر دليل على اعتماد النص على الحقائق والصور الثابتة أكثر مما اعتمد على الخيال والإبداع والتنميق الزائد وقد كان النص في غاية الدقة والتركيب.

تمهيد:

إن القصص الشعبي شبيها نوعا ما بالقصص الديني، وذلك في اشتمال كل منهما على الكثير من الأحداث والوقائع وذكر الديار والزمان، والتعبير عن التجارب الماضية والسير الخالدة ، كما أن لها بعض فواصل الاختلاف كالغرض من كل قصة، فالقصة الدينية الهدف منها العبرة والموعظة والإرشاد والهداية وتربية النفس وتعميق العقيدة، فهي ترتكز على الدين دون سواه، وتجسده بالفعل والعمل، كما أنها تعتمد على الأسلوب الموجز البليغ والمؤثر ولغتها فصحى، في حين نجد القصة الشعبية تهتم بوصف تجارب الأمم بطريقة مسلية ومرفهة ومعبرة في الوقت نفسه، لكن ليست منذرة وواعظة، فهي تعتمد بالدرجة الأولى على التسلية والترفيه، كما أنها تمزج بين الواقع والخيال والمغامرات العجيبة فهي تميل إلى العجائب والخوارق أكثر مما تميل إلى الحقائق، وهذا ما يجعلها معرضة للتحرير أو التغيير، وذلك بسبب تناقلها عبر الرواية الشفوية من شخص لآخر دون المحافظة على النص الأصلي، بعكس النص القرآني الذي هو ثابت ثبات القرآن ككل، كما أن لغة القصة الشعبية لغة عامية أو لهجية وليست فصيحة "قد يكون الدافع إلى استخدام اللغة العامية داخل النص الفصيح دافعا فنيا بدعوى استخدام لغة بسيطة تقترب في واقعيتها من لغة الحياة اليومية، أو هي تستمد منها مباشرة كما يرى ذلك بعض النقاد المحدثين لكن معايشة الواقع واستخدام اللغة البسيطة لا تعني استخدام لغة الحديث اليومي العادي المجرد من الإيحاءات الفنية بحيث يغدو لغة نثرية باهتة، قد يكون هذا الاستخدام سليما عندما يحمله الشاعر فكرة معنية عميقة، أو دلالة فنية نمت داخل التجربة الشعرية نموا طبيعيا في شكل صورة إشارية أو رمز أو إيحاء"[1].

وعليه فقد وظف شعراء العصر الحديث – وأقصد الشعراء الشعبيين- التراث الديني "القرآن الكريم" الذي هو معينا زاخرا غنيا بالدلالات الإنسانية والفنية فهو يضفي على الصورة الشعرية طابعا من الحيوية والأصالة مما يجعلها تشكل ذلك المزيج الفني الذي تلتقي فيه أحداث التاريخ الحديث وقصص القرآن "والجدير بالملاحظة أن الشعراء

---

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975) – دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان الطبعة الأولى – 1985 ، ص 380.

الشباب ليسوا في درجة واحدة من تمثل هذا التراث الديني والاستفادة منه، وأغلبهم كان أميل إلى الأسطورة والتراث الشعبي، على أن هذه الملاحظة لا تنفي وجود بعض الشعراء الذين كانوا يحاولون تطعيم صورهم الشعرية بقصص القرآن الكريم من حين لآخر"[1].

إن الشاعر الشعبي يستخدم أحيانا الرمز إشارة عابرة دون أن يعمد إلى ذكر بعض التفاصيل المتعلقة بهذه القصة أو تلك، وإنما يعتمد على ثقافة المتلقي وذكائه، ويكتفي بهذه الإشارة التي تحمل فيها الكلمة شحنة ذات دلالات بعيدة.

وعليه انطلاقا من هذه الإيحاءات يمكننا أن نقارن بين القصتين واستخراج العناصر المتشابهة والمختلفة مع إبراز التشابه الكلي والاختلاف الكلي وأيضا الاختلاف بالزيادة أو النقصان إن كان واردا في هذا النص الشعبي.

أ- أوجه التشابه:

تتفق كلتا القصتين على الأسس الدينية والتاريخية التي تبرزها الأحداث والمتتاليات المتمثلة في العبر والمواعظ التي يجسدها كل من الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل، ونذكر منها على سبيل المثال الرؤيا وحادثة الذبح ونزول الملك والفداء وغيرها، كما أنها تتفق في الشخصيات والأحداث المحظورة والمكذوبة والعنيفة والمفاجئة والاستدراجية وحتى الإعجازية.

كما تتوافق أيضا في تصنيف الشخصيات بحسب تواترها في القصة وأيضا في تصنيف الشخصيات المركزية والثانوية إضافة إلى المضمون الذي تتشابه به فيه القصتين تشابها كليا، زد إلى ذلك الحيز المكاني الذي احتضن أحداث قصة اسماعيل عليه السلام.

وعليه فإن للقصص الشعبي صلة تشابه وطيدة بالقصص القرآني وذلك في اشتمالها على الكثير من الوقائع والأحداث التاريخية الماضية مع التركيز على ذكر الزمان والمكان، وتعبير كل منهما عن الحياة البشرية وتجسيدها كما هي، واطلاع القارئ أو المستمع على البيئة التي تبني الحدث وتمجد الأبطال عبر التاريخ وبالتالي يتم تركيز كل منهما على الشخصية الأساسية ثم تتوالى بعدها الشخصيات الثانوية وأيضا تتفق كل من

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، ص 587.

القصة القرآنية والقصة الشعبية في عنصر الزمان بكل جزئياته وعنصر المكان الذي يعتبر الوعاء الحامل للأحداث المشتركة التي تنمي الحدث الأكبر (وسيتم تجسيد ذلك في الجدول التفصيلي).

ب- أوجه الاختلاف:

تتنوع الاختلافات بين القصص الديني والقصص الشعبي بحيث يسودها اختلافا كليا واختلافا جزئيا أما بالزيادة أو النقصان، ومن جملة اختلافاتهما نذكر: أن القصص القرآني هو استخراج للحقائق الدينية التي يرمز إليها القرآن الكريم منها العبرة والموعظة وتربية النفس وتعميق العقيدة، فهي ترتكز على التدين والغاية منها الاعتبار والاتعاظ، في حين نجد أن القصة الشعبية تعتبر وسيلة من وسائل اللهو والتسلية تروى في التجمعات الشعبية لملأ أوقات الفراغ، يمتزج فيها الواقع بالخيال والحقيقة بالأحلام كما تغزوها المغامرات والعجائب، إضافة إلى كون بعض أبطالها من وحي الخيال حيث "يعتمد الراوي في قصته على الرواية الأصل ليصنع منها قصة تتماشى وطبيعة وذوق الحضور"[1]، فهي بهذا معرضة للتحوير والتغيير وذلك إثر الرواية الشفوية التي يتناقلها الأجيال فيما بينهم من جيل لآخر، فهي لا تهدف إلى ذكر الحوادث لذاتها بل لتعبر عن ذات الشعب ورأية وآماله ضمن واقعه وحياته اليومية، ومن الاختلافات أيضا نجد أن القصة القرآنية تعتمد على الأسلوب الموجز والمؤثر البليغ مما يجعلها أكثر تأثيرا وإقناعا ويصبح وقعها في النفس أعمق وأبلغ، وهي تهدف إلى الدعوة إلى الله وإثبات العقيدة وترسيخ الأسس الدينية المقدسة، في حين نجد أن القصة الشعبية لم تعمد هذا الأسلوب بل تلجأ إلى الأسلوب السهل الواضح والمرفه غير المعقد الذي يفهمه المتعلم والمثقف والأمي أي تنسج القصة الشعبية بلغة العامة لتلقي على العامة وليفهمها كل من يسمعها، وعليه فإن هذه الأخيرة أقل وقعا وتأثيرا من الأولى، أما بالنسبة للشخصيات "التي هي أداة من أدوات الأداء القصصي يصطنعها القاص لبناء عمله الفني، كما يصطنع اللغة والزمان والحيز وباقي العناصر التقنية الأخرى التي تتظافر مجتمعة لتشكل لحمة فنية واحدة هي الإبداع الفني أو الأدب ولكن شأن الشخصية في رأينا عظيم بالمفهوم التقليدي بطبيعة الحال في العمل

---

[1] عبد القادر قروش: الأدب المسمى شعبيا: إشكالية إصلاح، مجلة الثقافة الشعبية، العدد الأول السداسي الأول1999، ص 49.

القصصي، إذ أن العناصر الأخرى تكون بالضرورة مرتبطة بها متفاعلة معها، متأثرة بسلوكها أو مؤثرة فيها، ولكن صلتها تظل في كل الأحوال بها شديدة"[1].

وعليه فإن الشخصيات في القصة الشعبية هي نفسها في القصة القرآنية لكن الاختلاف هاهنا تجسد في الجديد الذي أضفاه المبدع الشعبي على نصه، والذي تمثل في تلك الشخصيات الخيالية مثل الطائر والشيطان إضافة إلى إدخال وإيلاج شخصية هاجر في النص الشعبي على غير النص القرآني الذي لم يذكر هاجر في هذا الصدد.

فالنص القرآني اعتمد على شخصين اثنين في النص بأكمله هما الخليل إبراهيم وابنه اسماعيل دون أن ننسى شخصية الملك المبعوث لتأدية الرسالة في حين نرى أن القاص الشعبي ترك أثره بارزا وواضحا في النص الشعبي كما ذكرناه سابقا، إذ اعتمد على الشخصيات الأساسية وزكى دورهما بشخصيات خيالية من وحي وإبداع المبدع الشعبي.

أولا: الاختلاف الكلي:

1. يتجلى في افتتاح كل من القصتين، فالقصة القرآنية تبدأ بقوله تعالى: [**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**][2] أما القصة الشعبية فتبدأ بالاستغفار لتمهيد الأحداث إذ يقول القاص:

نستغفر قبل ما نقول	نظم في نهار وليل
على مديرة الرسول	إبراهيم الخليل[3]

2. أما الاختلاف الثاني فيتجلى في خروج الخليل لدعوة الله قاصدا الهداية ، ومن ثمة طلب المولى أن يرزقه من لدنه غلاما حليما، وأن يكون من الصالحين لقوله تعالى: [**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيَهْدِينِ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**][4]. في حين نجد أنه في القصة الشعبية لم يرد هذا الحدث إطلاقا.
3. إن الاختلاف الثالث يتمثل في البشرى بالغلام الحليم، ففي القصة القرآنية جاء نص صريح يبشر فيه المولى نبيه الخليل بالغلام الحليم حيث قال عز وجل: [**فَبَشَّرْنَاهُ**

---

[1] عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة ، ص 71.

[2] سورة الصافات، الآيات: 99-100-101.

[3] عبد الكريم دالي، قصة شعبية (ينظر الملحق).

[4] سورة الصافات الآيات: 99- 100.

بغُلاَمٍ حَلِيمٍ][1]، على غير القصة الشعبية إذ نلحظ عدم وجود وورود هذا الحدث بحيث ذكرت الرؤيا مباشرة ولم يمهد لها القاص الشعبي كما في القرآن الكريم.

4. إن الاختلاف الرابع يجسد في مشاورة الخليل لابنه اسماعيل، حيث نجد أن "القرآن الكريم" قد حدد الزمن الذي نزلت فيه الرؤيا وهو بلوغ اسماعيل الحلم، أي لما اشتد ساعده وأصبح شابا عاقلا ورجلا يعتمد عليه، عندها نزلت الرؤيا فشاوره الخليل في الأمر لقوله تعالى: **[فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بَنِي إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ]**[2].

في حين نجد أن القصة الشعبية لم تحدد الزمن الذي نزلت فيه الرؤيا، ولم تتوه إلى مشاورة الخليل لابنه، كما أنها لم تشر إلى السن الذي كان يبلغه اسماعيل حينذاك (لم تذكر صغر سنه ولا كبره) لذا فإن النص القرآني قد حسم الأمر على غير صياغة النص الشعبي حيث يقول القاص الشعبي في هذا الصدد ما يلي:

الصبـاح كيف زيق الفجـر	عيـــــط اسماعيـل
ابنـــو فـــر مـــن الحجـر	متــاع أمو لحنيـن
خـرج الرسـول للـفـضـــا	ثم ارفـــد عيـنيه
قـــال الصبـــر للقــضــــا	رغما ننـــــضحيـــه

إلى أن يقول:

أرمى عـــلــــى الغـــــلام	وأعطـى روحـو ليـه
قـــال للزوجـــة بالبســـــام	نــــروح نحوس بيـــه[3]

وغيرها من الأبيات التي تدل على عدم مشاورة الخليل لابنه في أول الأمر.

5. يتجلى الاختلاف الخامس في حادثة الذبح، ففي النص القرآني نلحظ أنها ذكرت بشكل سطحي، أي أشير إليها مصداقا لقوله تعالى: **[فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ]**[4]، أما في النص الشعبي نلمس أنها ذكرت ذكرا مفصلا وشرحت شرحا بينا لقول القاص:

---

[1] سورة الصافات: الآية 101.

[2] سورة الصافات: الآية 102.

[3] عبد الكريم دالي: قصة شعبية (أنظر الملحق).

[4] سورة الصافات الآية 103.

لمـا وصلـــوا للجبـــل   عليـــه السـلام
قلبوا بالحـــرقة فشـل   عيـط يا رحمـان
سلم عليه مـن الجبـين   دمعو فضـح بيــه
قالوا يا بـــويا لحـنـين   ما بكـاك حزيـن
قالوا يا كبـــدي الغـلام   الله أطـلـب عليك
أتاني مـلاك في المنـام   أطلـب أنضـحيـك[1]

إلى أن يقول:

اركـع باسـو مـن الجبـين   رفــدوا وقبـل بيـه
ارمـى يـدو على السكين   رايـــح يضـحـيـه
قالـوا ارفـد الـكمـــوم   وطـــم اجـلالـك
لـتطـــرش بالدمــــوم   أمـي تفطـن بيـك
لما جـــا يجــري عليـه   مـلاك انــزل قفـاه[2]

6. يتمثل الاختلاف السادس في كيفية الجزاء ونوعية المكافأة، حيث نرى أن القصة القرآنية قد جسدت الموقف تجسيدا واضحا وجيدا، مما يثبت ذلك قوله عز وجل: [**وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**][3] على عكس ما جاء في القصة الشعبية، فالملاحظ أنها مرت على الحدث مرور الكرام، ولم تعط الأمر أهمية ولا شأنا ، لكنها ذكرته كما يلي:

لمـــا جـــا يجري عليـه   مـلاك أنـزل قفـاه
قـال اعتـق ما بين يديك   احـكم آش وراك
قال يا إبراهيم الخليـــل   اعتـــق إسماعيـل[4]

7. أما آخر الاختلافات فتتجسد في نهاية كلتا القصتين حيث نلمس في القصة القرآنية ختاما فيه إبراز لصفات إبراهيم الخليل الحسنة كما جاء في قوله تعالى: [**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ**][5] على غرار ما انتهت به القصة الشعبية من مدح عابر وطفيف لسمات

---

[1] عبد الكريم دالي: (أنظر الملحق) قصة شعبية.
[2] نفس المرجع.
[3] سورة الصافات الآيات: 104-105-106-107.
[4] عبد الكريم دالي: (أنظر الملحق) قصة شعبية.
[5] سورة الصافات الآيات: 108-109-110-111.

الخليل حيث اتبعها القاص بالدعاء لنبي الله إبراهيم وللمتلقي بالصبر كما جاء قوله الآتي:

قال يا إبـراهيـم الخليـل اعتــــق إسمـاعيــــل
ما كـــان مثلـــك قليـــل مـن الصـــــــادقين
الله يـــرزقـــنا الصبـــــــر لينـــا أجـمعيـــــن
كما أرزق شامخ القـــدر أب المـــرسلــــين[1]
على ابنـو الحنـين

ثانيا: الاختلاف بالزيادة:

1. لا يخلو أي نص أعيدت صياغته من حذف أو زيادة أو نقصان، فالقصة التي بين أيدينا من النماذج التي عرفت التغيير وغمر أحداثها التحوير، فمن الأحداث التي لم ترد في النص القرآني ووجدناها في النص الشعبي حدث الطائر الذي فضح أمر الخليل، عندما خرج بابنه إسماعيل قاصد الجبل بنية ذبحه والفداء به تنفيذا لأمر الله ويبرز ذلك جليا في قول الشاعر:

إبراهيم زايـــد في الخـــلا وابنـــو يتبـــع فيه
يسمع للطيـــــــر فـــي العلا قـــال راح يضحيـــه
اسماعيل خـــاف من البـــلا قالـوا يـا رســـول
اسمـع للطـــير فـــي العـلا آش راه يقـــول
قالو يـــــا بنـي لعـــــزيـز رانـــي نسمـع فيـه
هـــذاك ابليـــس النحيـــس لـعـن الله عـليـــه[2]

كما يتبين لنا جليا عدم وجود هذا الحدث إطلاقا في النص القرآني.

2. أما ثاني الاختلافات بالزيادة فيمكن في كون الشاعر الشعبي قد حدد عدد الأيام والليالي التي نزل بها الملك قاصدا تبليغ أمر الله والمتجسد في الرؤيا وهي ثلاث ليال بالكمال ونلحظ ذلك في قوله:

أتـاه مـلاك في المنـام قالـوا ابنـك ضحيـه
سبقـت عليـه السـلام وطـار النـوم عليـــه
ثلـث ليـالي بالـكمـال وهو يـوقـف عليـــه
ضحـي ابنـك الغـزال الله أطـلـب عليـــه
بالرؤيا صـدق الـرسول وقال الطـاعة ليـــه[3]

---

[1] عبد الكريم دالي: (أنظر الملحق) قصة شعبية.

[2]– عبد الكريم دالي : قصة شعبية (أنظر الملحق).

[3] – نفس المرجع.

على غرار النص القرآني الذي لم يحدد ذلك ولم يذكره بدليل صريح ، بل أشار إلى نزول الملك وإنباء الخليل بالرؤيا ولم يذكر عدد الليالي التي تكررت فيها الرؤيا لقوله تعالى: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**][1].

3. ثالث الاختلافات بالزيادة نجده في وصف الشاعر لنفسية الخليل وحالته بعد الرؤيا حيث يقول:

بالرقيا صدق الرسول قال الطاعة ليه
دمعو سايل لا يزول علي اللي عزيز عليه
الصباح كيف زيق الفجر عيط لاسماعيل
ابنو فر من الحجر متاع امو لحنين
خرج الرسول للفضا ثم ارفد عينيه
قال الصبر للقضا رغما انضحيه
نشف دموع الشقا وارجع لاسماعيل[2]

في حين نجد أن النص القرآني لم يذكر هذا الحدث أبدا ولو حتى بإشارة أو رمز.

4. ومن الأحداث الغائبة عن القصة القرآنية، ذكر هاجر زوج إبراهيم الخليل حيث ذكرت في النص الشعبي فقط ويقول الشاعر مبرزا ذلك ما يلي :

لقا الزوجة معنقا اوليدها لحنين
ارمى يد على الغلام واعطى روحو ليه
قال للزوجة بالبسام انروح نحوس بيه
قالت اصبر يا رسول أنروح الناقيه
نبدلوا دوك الدلول التوب اللي يواتيه
أمو ما هيش عالما فاين رايح بيه
فرحانة بيه سالمة أتهلالي فيه
اخرج وسار من الخيام وأمو تتبع فيه
تبعتوا وتزيد في السلام لوليدها لفريد[3]

---

[1] – الصافات ، الآية 102.

[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

[3] نفس المرجع.

5. يتجسد خامس الاختلافات بالزيادة في وصف الشاعر لصورة الخليل مع ابنه وهما يقصدان الجبل من أجل تنفيذ الرؤيا وتلبية أمر المولى وصفا مفصلا لقوله:

إبراهيم زايد في الخلا وابنـو يتبـع فيـه
يسمع للطير في العـلا قال راح يضحيـه
اسماعيل خاف من البلا قالـوا يا رسول
اسمع للطير في العـلا آش راه يقـول
قالوا يا بني لعزيـز راني نسمع فيه
هذاك ابليس النحيس لعـن الله عليـه
لما وصلوا للجبـل عليه السـلام
قلبو بالحرقة فشـل عيط يا رحمـن
سلم عليه من الجبين دمعو فضح بيـه[1]

والملاحظ في النص القرآني أنه لم يصف لنا هذا الحدث ولم يذكر تماما.

6. من بين الأحداث التي وصفها الشاعر الشعبي أيضا حالة الخليل النفسية في الجبل عند موقعة الذبح، وبالضبط في اللحظة التي أخبر ابنه اسماعيل بالأمر وأباح له عن السر الذي طالما أخفاه عنه، إذ يقول ما يلي:

سلم عليه من الجبين دمعو فضح بيه
قالوا يا بويا لحنين ما بكاك حزين
قالوا يا كبدي الغلام الله أطلب عليك
أتاني ملاك في المنام اطلب انضحيك
قالوا الطاعة يا رسول أمي أعلمها
لاش يا بويا ما تقول نشبع منها
عنق ابنو بالغزر ما ني عالمها
الله يا تينا الصبر هو يعلمها
اركع باسو من الجبين رفد واقبل بيه
ارمى يد وعلى السكين رايح يضحيه[2]

والملاحظ في الحدث الشعبي أن الخليل قد أطلع ابنه على الأمر عند موقعة الذبح، أي لما عزم على ذبحه والتضحية به، في حين نلمس في النص القرآني أن الخليل قد أخبر ابنه فورا بعدما علم بالرؤيا ، أي بعد نزول الملك بالرسالة ثلاث ليال متتالية وفي هذا

---

[1] عبد الكريم دالي: قصة شعبية (أنظر الملحق).
[2] عبد الكريم دالي: قصة شعبية (أنظر الملحق).

الاختلاف كبير لقوله تعالى: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنّي أرَى فِي الَمنَامِ أنّيّ أذّبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ سَتَجِدُنِيَ إنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابرينَ**][1].

ثالثا: الاختلاف بالنقصان:

1. أول ما يصادفنا من اختلاف بالنقصان ذكر النص القرآني لخروج الخليل قصد دعوته للمولى بالهداية ثم مولد اسماعيل، كما جاء في قوله تعالى: [**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ**][2] وهذا لم يذكر في النص الشعبي.
2. من بين الأحداث المهمة التي وردت في النص القرآني ولم ترد في النص الشعبي تحديد الزمن الذي نزلت فيه الرؤيا أي بعدما كبر اسماعيل واشتد ساعده لتحمل الصعاب وقوله تعالى أكبر دليل على زمن الرؤيا إذ يقول عز وجل: [**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنيَّ إِنِّي أرَى فِي المَنَامِ أنيِّ أذّبَحُكَ**][3].
3. من بين الأحداث المحذوفة في القصة الشعبية والتي ذكرت في النص القرآني الإفصاح والإعلان عن الفدية التي فدى بها المولى عز وجل عبده اسماعيل وبشيره ووالده بالجزاء الحسن، حيث يقول تعالى: [**إنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاَءُ المُبينِ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرينَ سَلاَمٌ عَلَى إبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينَ**][4].

---

[1] سورة الصافات: الآية 102.

[2] السورة نفسها: الآيات 99-100-101.

[3] السورة نفسها: الآية: 102.

[4] سورة الصافات: الآيات 106-107-108-109-110-111.

قصة النبي اسماعيل بين النص القرآني والنص الشعبي

القصة القرآنية	القصة الشعبية
بسم الله الرحمن الرحيم 1. [**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**].	1. نستغفر قبل ما نقول نظم في نهار وليل على مديرة الرسول إبراهيم الخليل أتاه ملاك في المنام قالوا ابنك ضحيه سبقت عليه السلام وطار النوم عليه ثلث ليالي بالكمال وهو يوقف عليه ضحي ابنك الغزال الله أطلب عليه بالرؤيا صدق الرسول قال الطاعة ليه دمعو سايل لا يزول على الله عزيز عليه الصباح كيف زيق الفجر عيط لاسماعيل ابنو فر من الحجر متاع أمو لحنين خرج الرسول للفضا ثم ارفد عينيه قال الصبر للقضا رغما ننضحيه نشف دموع الشقا وارجع لاسماعيل لقا الزوجة معنقا أوليدها الحنين ارمى يدو على الغلام واعطى روحو ليه قال للزوجة بالبسام انروح نحوس بيه قالت اصبر يا رسول انروح ايناقيه نبدلوا دوك الدلول والتوب اللي يواتيه أمو ماهيش عالما فاين رايح بيه فرحانه بيه سالمة اتهلالي فيه[1]

[1] – عبد الكريم دالي: قصة شعبية.

	اخرج وسار من الخيام وامو تتبــع فيـــه تبعتو وتزيد في السلام لوليدها لفريـــد إبراهيم زايد في الخلا وابنو يتبع فيه يسمع للطير في العلا قال راح يضحيه اسماعيل خاف من البلا قالوا يا رسول قالوا يا بني لغربن راني نسمع فيـــه هداك بليس النحيس لعن الله عـــليـــه
2. [فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى، قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرْ سَتَجِدُنِيَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ].	2. قالوا يا كبدي الغلام الله أطلب عليـــك أتاني ملاك في المنام أطلب نضحيـــك قالوا الطاعة يا رسول أمـــــي أعلمهـــا لاش يا بويا نا تقول نشبـــــع منهـــــا عنق ابنو بالغزر مانــــــي عالمهـــا الله يأتينا الصبر هـــو يـــعلمهـــــا
3. [فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينْ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمْ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينْ إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَاءُ المُبِينْ].	3. لما وصلوا للجبل عليه الســــــلام قلبو بالحرقة فشل عيط يا رحمـــن سلم عليه من الجبين دمعو فضح بيـــه

	**** اركع باسو من الجبين رفــــدو قبل بيــه ارمى يدو على السكين رايــح يضــحيــه قالوا ارفد الكموم وطــم اجــلالـــك لتطرش بالدموم أمي تفطــــن بيك
4. [وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمْ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينْ]	4. لما جا يجري عليه ملاك أنزل قفـاه قال اعتق ما بين يديك أحكــم آش وراك قال يا إبراهيم الخليل أعتــق اسماعيــل
5. [سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيم كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينْ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المُؤْمِنِينْ].	5. قال يا إبراهيم الخليل اعتق اسماعيــل ما كان مثلك اقليل من الصــادقــيــن الله يرزقنا الصبر ليــنــا أجمــعيــن كما ارزق شامخ القدر أب المرسلين على ابنو لحنين

جدول تفصيلي لأوجه الاختلاف في القصتين القرآنية والشعبية

رقم الآية	القصة القرآنية	القصة الشعبية	ملاحظات
	مدخل يصنف القصة ضمن الإطار الديني والبيئة الإسلامية.	مدخل يصنف القصة ضمن إطارها وبنيتها الشعبية.	اختلاف.
99–100	خروج إبراهيم الخليل لدعوة إلى الله قاصدا الهداية.	لم يرد.	اختلاف.
101	البشرى بالغلام الحليم.	لم يرد.	اختلاف.
102	النزول بالرؤيا بعد بلوغ الغلام الحلم.	تكرارا الرؤيا ثلاث ليال متتالية (عدم ذكر الغلام ههنا).	
102	طاعة اسماعيل لأمر ربه وطلب أبيه.	الحدث بتصرف.	اختلاف.
102	استشارة الخليل لابنه حول أمر رؤيا وغرمه على الفداء.	الحدث بتصرف	
102	استسلام كل من الأب وابنه لأمر المولى وعزمهما على التنفيذ.	الحدث نفسه	
103	إلقاء الخليل باسماعيل أرضا قاصدا ذبحه واستسلامها لقضاء الله وقدره.	ذكر أمر الذبح بالتفصيل.	اختلاف.
104 105	تصديق الخليل للرؤيا وعزمه على تنفيذها	القصة نفسها.	
106	ابتلاء المولى عز وجل لعبديه المؤمنين لمعرفة مدى صدقهما وطاعتهما وإيمانهما بالمولى.	الصورة نفسها.	
107	الفداء العظيم والجزاء الحسن.	نزول الملك بالفداء (عدم الإفصاح عما أتى به الملك).	اختلاف.
	جزاء المحسنين ومكافأة المؤمنين بخير وأحسن الجزاء.	الصورة نفسها.	
108	ختام القصة القرآنية بإبراز صفات الخليل الحسنة والتي تصنفه ضمن عباد الله المؤمنين.	ختام القاص الشعبي لقصته بمدح الخليل والدعاء بالصبر للأجمعين.	اختلاف.

وهكذا فقد تمت المقارنة بين القصتين القرآنية والشعبية مبرزين من خلالهما نقاط التشابه ثم أوجه الاختلاف لنصل إلى النتيجة والخلاصة البينة والتي تتجسد في أن القرآن الكريم هو المنبع والمأخذ والمنطلق والقصص الشعبي هو الفرع الذي يستقي أفكاره وأحداثه من القرآن الشريف.

خاتمة:

بعد هذا الغرض والدراسة والتحليل لقصة النبي إسماعيل – عليه السلام – بين النص القرآني والنص الشعبي، فإن أي بحث أو دراسة تبقى بداية وخطة لمن يريد البحث والاستمرار في مقارنة النص القرآني بالنص الشعبي سواء أكان شعرا أو نثرا، وعليه فقد خلصنا إلى النتائج والملاحظات التالية:

1. إن دراسة القصص القرآني وتحليل آياته، واستجلاء معانيه، تعين القارئ على فهمه والتعرف على بيانه، فيزيد المتدبر فيه إيمانا ويقينا بعظمة هذا الكتاب وإعجازه مما يجعله يفكر في نسجه وإعادة صياغته بطريقة شعبية كي يصل صداه وعبره إلى المتعلم وغير المتعلم.
2. إن القصة القرآنية تعد – بحق- أفقا واسعا ومضمارا شاسعا بوصفها فنا أدبيا جميلا يتطلع لبحوث أكثر دقة وعمقا.
3. إن الملاحظ على القاص الشعبي أنه استقى متنه وأحداث قصته الشعبية من "القرآن الكريم"، في حين نجده يتناقض مع النص الأصلي أحيانا وبالتالي يتلف الحقائق ويغوص في الخيال مما يؤدي به إلى تشويه القصة القرآنية.
4. بالرغم من أن العديد من الباحثين والعلماء قد ولجؤوا إلى عالم المقارنة والتفسير والتحليل في عالم القصص إلا أنه ما يزال معرضا للتغيير والتحوير مما يؤدي إلى تغير مجرى القصة وهدفها والغرض الذي تطمح إلى الوصول إليه وأقصد النص الشعبي.
5. لقد أبرزت الدراسة التحليلية الجمالية للقصة عامة ذوقا أدبيا وإعجازا فنيا، حيث اعتمدت على وسائل تعبيرية كانت أساسا وقاعدة في بناء الأسلوب، وتتجلى في طريقة التشخيص والتجسيم للأحداث والإيجاز الذي بلغت به حد الروعة، هذا فضلا عن ملاءمة الكلمة لسياقها في المعنى.
6. إن المقارنة بين القصتين القرآنية والشعبية جعلتنا نستخرج الحقائق والخبايا ثم الكشف عن اللب والجوهر الثابت الذي تكتنزه كل من القصتين، ومدى صدق الأولى عن الثانية، وكان هدفنا الأسمى هو تقديم نموذج على قدرة المولى عز وجل، ثم إبراز دور القصة الشعبية الجاد والهادف والمعرف في الوقت نفسه.

ويقيننا الذي لا يخالجه شك أن هذه الدراسة أقل بكثير من المستوى المطلوب فهي لا تطرح نفسها كبديل، بل هي تجربة تقف صاغرة أمام ما قدمه السلف الذين أثروا المكتبة العربية بأسفار ضخمة وكتب نفيسة، وعليه فإن كنا قد وفقنا لبعض ما طمحنا إليه فذلك ما نود ونرجو، وإن كنا جانبنا الصواب فيما سطرناه فلا حلية لنا فيما كان **[وَمَا تَشَاءُونَ إلاّ أنْ يَشَاءَ اللهُ إنَّ الله كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا]** (سورة الإنسان، الآية 30).

والله نسأل العفو والمغفرة، ومنه نستمد العون والثبات فهو المستعان على كل قصد وعمل.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

1) ابن كثير الدمشقي: قصص الأنبياء/حققه وخرج أحاديثه لجنة التحقيق والنشر/دار الفيحاء/قدمه: عبد القادر الأرناؤوط/الطبعة الأولى/1421هـ-2001م/دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع/سوريا-دمشق.
2) ابن كثير: مختصر بن كثير/الجزء الثالث.
3) ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب/دار بيروت للطباعة والنشر/ المجموعة الأولى/1388هـ-1968م.
4) أبو الحسن علي الحسيني الندوي: قصص النبيين/مؤسسة الرسالة : بيروت/الطبعة الرابعة عشر/ 1406هـ-1986م.
5) أحمد طالب: الإلتزام في القصة الجزائرية المعاصرة/ ديوان المطبوعات الجامعية/ الجزائر.
6) روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية ذات الأصل العربي/ ديوان المطبوعات الجامعية/ الجزائر/ 1980م.
7) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن/ دار الشروق/ بيروت 1988م.
8) سيد قطب: في ظلال القرآن/ المجلد الخامس/ دار الشروق/ الطبعة الخامسة عشر/ 1408هـ- 1988م.
9) عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة/ المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر/ 1986م.
10) عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي/ الطبعة الأولى/7/ 1993/ ديوان المطبوعات الجامعية/ المطبعة الجهوية وهران.
11) عبد القادر قروش: الأدب المسمى شعبيا: إشكالية اصطلاح/ مجلة الثقافة الشعبية/ العدد الأول/ السداسي الأول/ 1999م.
12) عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة/ المؤسسة الوطنية للكتاب/ الجزائر/ 1990م.

13) عبد المالك مرتاض: ألف ليلة وليلة: تحليل سيميائي تفككي/ ديوان المطبوعات الجامعية/ 1993م.
14) عبد الكريم دالي (مطرب شعبي) شريط سمعي لقصة إسماعيل.
15) عثمان حشلاف: التراث والتجديد في شعر السياب مقوماتها وطاقاتها الإبداعية/ دار المعارف/ الطبعة الأولى والثانية/ 1983/ ص 983.
16) عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب/ دار العودة/ بيروت/ 1962م.
17) علي فكري: أحسن القصص: الجزء الأول/ مكتبة رحاب/ الجزائر.
18) فضل حسن عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته/ الجزائر/ شركة الشهاب/ 1989.
19) محمد أخلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم/ مكتبة أنجلو المصرية/ القاهرة/ الطبعة الرابعة/ 1972م.
20) محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء/ دار الهدي للطباعة/ الجزائر/ ص 154.
21) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير/ المجلد الثالث/ دار القرآن الكريم/ بيروت/ الطبعة الثانية/ 1401هـ - 1981م.
22) محمد كامل حسن المحامي: إبراهيم الخليل/ منشورات المكتب العالمي/ بيروت للطباعة والنشر.
23) محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)/ دار الغرب الإسلامي/ بيروت/ لبنان/ الطبعة الأولى/ 1985م.
24) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي/ دار النهضة/ مصر/ القاهرة/ د.ت.
25) يوسف القرضاوي: الصبر في القرآن/ مكتبة الشركة الجزائرية/ طبع بمطابع دار البعث/ قسنطينة/ الجزائر/ 1988م.

المجلات:

- المجلة الثقافة الشعبية/ العدد الأول/ السداسي الأول/ 1994م.

الرسائل الجامعية:

- عبد القادر خليفي: القصص الشعبي في مدينة عين الصفراء/ 1990م-1991م.
- فاطمة الزهراء بلحجي: قصة يوسف -عليه السلام- بين القصص القرآني والنص الشعبي/ رسالة ماجستير/ 2000- 2001م/ ص 29.

الملحق:

نستغفـــر قبــل ما نقـــول ∃ نظـــم في نهـــار وليـــــل
على مـــديـــرة الرســـول ∃ إبراهــــيــم الخــليـــل
أتـــاه مـــلاك فـــي لمنـــام ∃ قالــــوا ابنـــك ضــحيـــه
سبقـــت عليـــه الســـــلام ∃ وطـــــار النـــــوم عليـــه
ثلـــث ليـــالي بالـــكمـــال ∃ وهـــــو يــــوقـــف عليـــه
ضحــــي ابنـــــك الغزال ∃ الله طــــلـــــــب عليه
بالرؤيا صـــــدق الرســـول ∃ قـــال الطـــــاعة لـــيـــه
دمعـــوا ســـايل لا يـــزول ∃ علــى اللـــي عـــزيز عليـــه
الصباح كيـف زيـــق الفجـر ∃ عيـــــط لاسمـــــاعيـــــل
ابنــــو فـــر مـــن الحجـــر ∃ متــــاع أمـــــو لـــــحنـــين
خرج الرسول للفـــضـــــا ∃ تـــم رفــــد عـــــينيـــــه
قال الصـــبــــر للقضـــا ∃ رغـــمـــــا ننضــحيـــــه
نشـــف دمــــوع الشقـــا ∃ وارجـــــع لاســـمـــاعيل
لقا الـــزوجـــة معـــنـــقا ∃ أوليــــدهـــا لحـــنيـــن
رمـــى يـــدو عـــلى الغلام ∃ واعطى روحـــــو ليــــه
قال للـــزوجـــة بالبســـام ∃ نـــــروح نحـــوس بيـــه
قالت اصـــبر يـــا رســـول ∃ نـــــروح النـــاقيـــــه
نبدلـــوا دوك الـــدلـــول ∃ والتـــوب اللـــي يواتيـــه
أمو مـــاهيــــش عالـــما ∃ فاين رايـــــــح بيـــــه
فرحـــانه بيـــه ســـالمة ∃ اتـــهـــلالـــــي
فيـــه
اخـــرج وســـار من الخيام ∃ وامـــــو تبـــع فيـــه
تبعثـــوا وتـــزيد في السلام ∃ لوليــــدها لـــفـــــريد
إبراهـــيم زايـــد في الخلا ∃ وابـــنـــو يتـــبـــع فيـــه
يسمع للطـــير فـــي العلا ∃ قـــال راح يـــضـــحيـــه
اسماعيل خـــاف مـــن البلا ∃ قالـــو يـــا رســــول
اسمع للطيــر فـــي العـــلا ∃ آش راه يــــقـــول
قالـــوا يـــا بني لعزيـــز ∃ راني نســـمـــع فيـــه
هـــداك ابـــليـــس النحيس ∃ لعـــن الله عـــليـــه
لما وصـــلـــوا للجـــبل ∃ عـــلـــيـــه الســـلام
قلبوا بالحـــرقة فـــشل ∃ عيـــط يـــا رحمـــان
سلم عليـــه من الجـــبين ∃ دمعـــو فضـــح بيـــه
قالوا يا بـــويا لـــحنـــين ∃ ما بـــكـــاك حـــزيـــن
قالـــوا يا كبـــدي الغلام ∃ الله اطـــلـــب عليـــك
أتانـــي مـــلاك في المنام ∃ واطـــلـــب نضحيـــك
قالوا الـــطاعـــة يـــا رسول ∃ أمـــــي اعلمـــهـــا
لاش يا بـــويا مـــا تقـــول ∃ نشـــبـــع منـــهـــا
عنق ابنـــوا بالغـــــزر ∃ مـــانـــي عـــالمهـــا
الله ياتـــيـــنـــا الصبـــر ∃ هـــو يـــعلمـــهـــا

ركع بـــاســوا مـــــن الجبين ∃ رفـــــــدوا قبـــل بيـــــه
ارمى يـــــــدوا على السكين ∃ رايـــــــــح يضـــحيـــه
قالــوا ارفـــــد الكمــــــوم ∃ وطــــــــم أجـــــلالـــك
لتطـــــرش بالــــدمــوم ∃ أمي تفـــطـــن بيــــــــك
لمــا جا يــجـــري عليـــــه ∃ مـــلاك انـــزل قـــفـــــاه
قال اعتــق ما بـــــين يديك ∃ احـــــكـــــــــم آش وراك
قال إبـراهيم الخــليــــــل ∃ اعتــــــــق اسمــــاعيـــــل
ما كـــــان مثـــلــك قليل ∃ مـــــن الصــــادقيـــــــن
الله يـــــرزقنــا الصــبــــر ∃ ليــــــنا أجـــــمعيـــــــن
كما ارزق شـــامخ القــــدر ∃ أب الـــمرســـلـــيـــــن
على ابنوا لحنــــــــــين

الفهرس

إهداء

شكر وتقدير

المقدمة: ....أ

الفصل الأول: بنية القصة القرآنية..........1

تمهيد: 1

أولا : المسار الحدثي: 5

*الأحداث: 5

ثانيا :الشخصيات..........21

ثالثا :الحيـز. 28

رابعا الثنائيـة الضديـة..........33

خامسا الأبـعـاد الـزمنيـة 38

الفصل الثاني: بنية القصة الشعبية..........48

أولا: الوظائف الحدثية: 48

ثانيا :الأحداث: 55

ثالثا :الشخصيات..........62

رابعا :الحيز: 66

خامسا :الثنائية الضدية : 69

سادسا: بنية الزمان: 74

سابعا :تحليل النص تحليلا أدبيا. 81

الفصل الثالث: المقارنة بين القصتين. 90

تمهيد: 90

أ- أوجه التشابه: 91

ب- أوجه الاختلاف: 92

أولا :الاختلاف الكلي: 93

ثانيا :الاختلاف بالزيادة: 96

ثالثا :الاختلاف بالنقصان: 99

جدول تفصيلي لأوجه الاختلاف في القصتين القرآنية والشعبية..........104

خاتمة: 106

المصادر والمراجع: 108

الملحق: 112

الفهرس..........114